

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

Provided by the Library of Congress
Public Law 480 Program

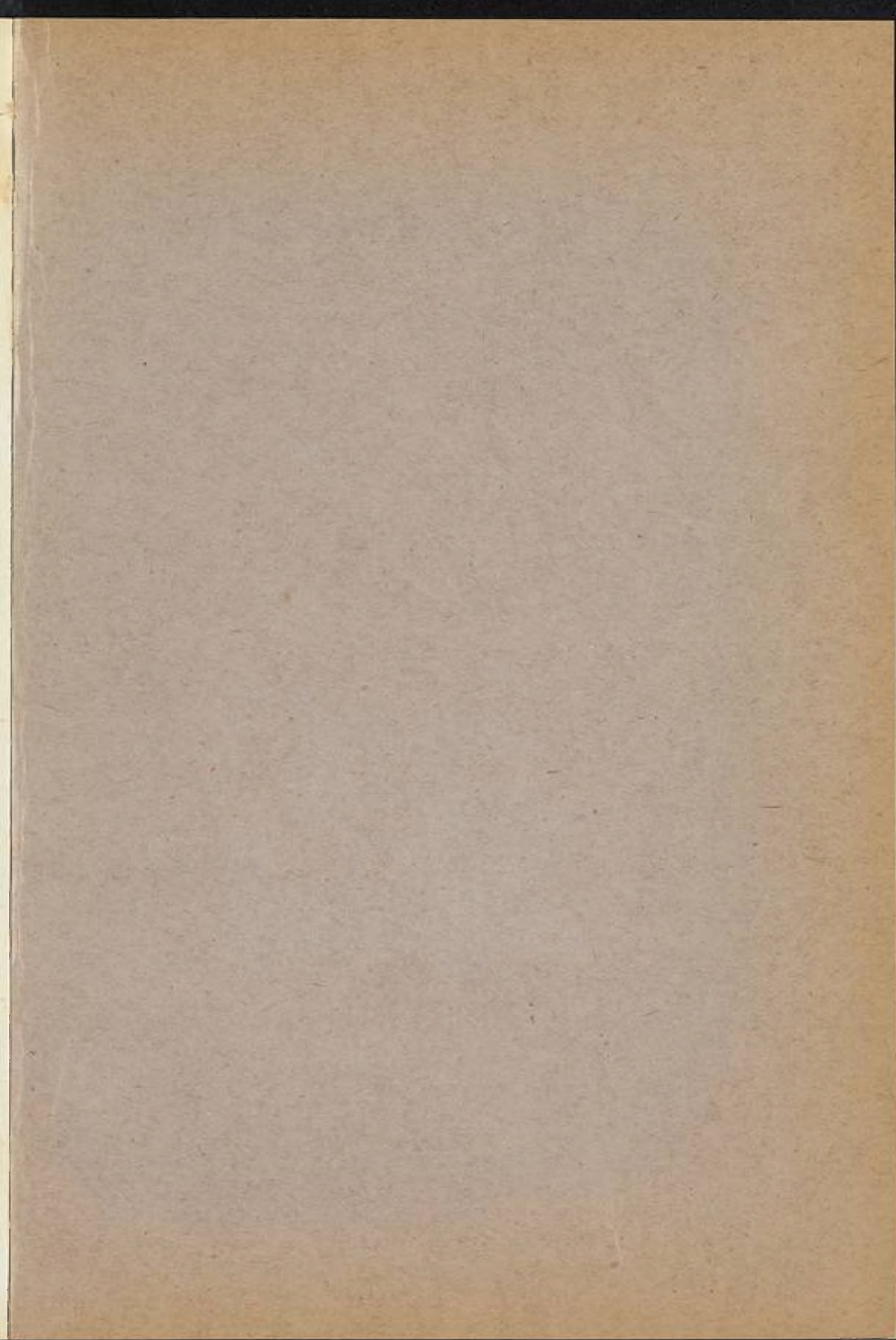
UAR-9906

الجاهلية

مقترنة في الحياة العربية لدراسة الدكتور الخليل

الدكتور يحيى الجبوري

١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م



الجاهلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجاهلية

مقترنة في الحياة العربية لدراسة الدكتور الجاهلي

الدكتور يحيى الجبور

١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م

D5
215
J82

المقدمة

هذا الكتاب في حقيقته مقدمة لكتاب بعده في أدب العصر الجاهلي واتجاهاته ، وقد حاولت ان اقدم لأدب الجاهلية بدراسة موجزة بعض الانجاز عن حياة العصر ، تلقى الضوء على أهم الجوانب التي تعين على فهم الادب وتوضح قضاياها وتفسر ظواهره . وحين مضيت في بحث هذه الجوانب ، وجدت ان الموضوعات التي علي ان اطررها أو أرى ضرورة في بحثها قد كثرت وبرزت أهمية تركيدها وتوضيحها .

وقد توفرت أثناء البحث مادة غزيرة وصفحات طوال ، فأجريت القلم فيها حذفاً وتشديداً واختصاراً ، فبقى بين يدي ما لا بد من بقائه ، اذ يتمندر الاستغناء عنه والتلاعب به ، فان في ذلك ثلماً للفكرة الأساسية وجوراً على الموضوع الذي اريد .

وقد وجدت ان هذه الفصول التي تراها بين يديك قد اكتملت وتحددت وجمعتها وحدة فكرية وموضوعية ، وان ضمها الى دراسة اخرى سيخرجها عن وحدتها ويحتملها ما لا تطيق . فكان لكل ذلك ان افردت هذه الدراسة في كتاب مستقل مستكمل الجوانب واضح المنهج .

ولا شك ان دراسة العصر الجاهلي على اهميتها ، تحف بها كثير

من المشكلات ، ولذلك فلا بد للباحث ان يكون حذراً من اطلاق
الاحكام والفرضيات بالنسبة لطبيعة الحياة وظروف العصر ، وليس
من شأن هذا البحث ان يفيض في دراسة العصر ، فان في ذلك سعة
لمن يريد ان يفرغ للعصر الجاهلي فيدرس تاريخه ولفته واحواله العامة ،
وذلك امر يخرج بي عن طبيعة المنهج الذي رسمت ، وانما هي هنا أن
أدرس العصر بالقدر الذي يعين على فهم الشعر الجاهلي وحياة الشعراء
ويبين نزعاتهم ويفسر كثيراً من المثل والتقاليد التي يتردد صداها - وما
زال - في الشعر العربي .

ولعل من أصعب الامور وأشدّها عسراً أن يحاول المرء رسم
صورة للعصر صادقة وواضحة وموجزة في آن واحد ، وهذا ما حاولت
ان افعله في هذه الفصول .

لقد نظرت في قضايا الجاهلية فوجدت ان لي رأياً في كثير منها
قد يخالف ما تعارف الناس عليه ، وقد كان في نفسي شيء من بعض
القضايا التي يظنها الناس اموراً بدئية مسلماً بها ، فأردت ان اعرف
وجه الحق اولاً ، وأثبت ما هداني اليه البحث ثانياً ، وأبين ما ارتضيت
من آراء ، كونتها الدراسة الفاحصة المخصصة ثالثاً . وقد دلت على
وجهة نظر - ري بكثير من الادلة والشواهد ، معتمداً في ذلك على
مصادر بحث اصلية متقدمة .

وقد بنيت هذه الدراسة على خمسة فصول متكاملة مترابطة ، ففي
فصل عرب الجاهلية وقفت عند مفهوم الجاهلية وحددت معناها
وناقشت الآراء في تسميتها ودلالاتها وأوضحت الرأي الذي ارتأيه .
وكذلك وقفت عند اهل تلك الجاهلية وميزت بين عرب الحاضرة

وأعراب البادية وبينت الفارق بينها وصلة هؤلاء بأولئك ، وكيف
نظر الاسلام والمسلمون الى العرب والاعراب ، حتى اذا اطمان البحث
الى تحديد المفهوم وإزالة اللبس ودفع الوم ، مضيت في دراسة العصر
الجاهلي وكان أول ما يجب معرفته ان اتعرف على القبائل العربية
واثبت مواضعها واعرف تحركاتها وأبين علاقاتها وصلاتها وما يترتب
على هذه الصلات من تحالف أو حروب وهجرات وأسفار ، وافر
وكذلك علاقة هذه القبائل بالامارات العربية التي قامت في العراق
والشام ودومة الجندل ، وقد وقفت قليلا عند هذه الامارات وبينت
طبيعة تكوينها وأثرها في حياة الجزيرة وحياة أبنائها اهل المدر منهم
واهل الوبر ، لما كان بينهم وبين ملوك هذه الدول من صلات ودية
حيثا وحربية في اكثر الاحيان .

ونظرت في حياة العرب الاجتماعية فتعرفت على طبيعة حياتهم
وعيشهم ، ونصيبهم من الحضارة ، وقد ازحت الصورة الخاطئة التي
تصور العرب في البادية جفاة متبدين اصحاب رحلة ونقلة ، واوضحت
ان لكل قبيلة منازل في الصيف ومنازل في الشتاء فاذا تنقلت في
الصحراء فانها تتنقل ضمن رقعة محددة مبينة ، وبينت ان البادية لم
تكن منقطعة عن الحاضرة ، بل متصلة بها تأخذ منها وتعطيها ، فينبها
صلات وثيقة وتبادل وزواج ، وكثير من القبائل لها بادية وحاضرة .
واذا امعنا النظر في طبيعة المجتمع العربي نجد ثمة صلات تجمع بين
القبائل وتؤلف قلوبهم على مثل عليا يحترمونها ويحلون بها ، ويستوى
في ذلك السادة منهم والمبيد ، البدو والحضر ، وجهاع تلك المثل :
الكرم والشجاعة والمروءة وحماية الجار والوفاء والحلم والتسامح .

ونظرت في معاش القوم فوجدتهم يختلفون في اذواقهم سواء في الحاضرة ام في البادية ، فمنهم الغنى الميسور ومنهم الفقير المدقع ، وكانت طبيعة حياتهم قد حددت معاشهم وبرز مواردهم في البادية الغارة والصيد والاعتماد على ما تدره حيواناتهم ، اما في الحاضرة فقد نشطت التجارة وقامت الزراعة والصناعة ، ولكل ذلك مواضع معينة واناس معروفون . وكان لمكة النصيب الاكبر من التجارة ، كما كان لرجالها اليد الطولى في تنشيط التجارة وتوسيع رقعتها .

اما الناحية الحضارية والعقلية من حياة العرب فقد حاولت اولا ان افند المزاعم الباطلة حول العصر الجاهلي ووصف اهله بالتأخر والبدائية والانزاع ، وحاولت ان اجلو الغشاوة المفتعلة عن الصورة الاصلية لحياة العرب ، فهم اولو حضارة عريقة وصلات بالعالم المجاور ، وقد ساعد ذلك اتصالهم بحيرانهم من الامم التي تتجر وايها او تحظر اسواقها . فكان هنالك تبادل ثقافي بين العرب والفرس وبينهم وبين الروم والحبش والهنود وغيرهم من الامم . وقد ساعد ذلك الاسواق والتجارة وكثرة الاسفار التي يقوم بها تجار العرب ، ثم وجود الجاليات الاجنبية في قلب البلاد العربية .

وظهرت عند العرب جملة علوم كان اهمها معرفتهم بالنجوم ومواقعها وانوائها ، والرياح ومهابها ، وقد غنيت اللغة العربية باسماء المطر والسحاب والرياح ، واثفوا كتباً كثيرة في ذلك . كما برعوا بالطب والبيطرة ، وان خالطت الخرافة بعض علومهم ، وكان لهم بصير بالفراسة والقيافة ، ولهم علم واسع بالتاريخ والاخبار والايام منذ اقدم الازمنة اما الانساب فقد برعوا بمعرفتها وضبطها ، فعرفوا

اصول كل قبيلة وفروعها واخبارها وایامها وأوكوا ذلك عناية فائقة .
وقد ظهرت لديهم الحكم والامثال التي يصح ان نستدل بها على رقي
عقليتهم ونضج تجاربهم ونظرتهم الصائبة الى الحياة .

ووقفت عند الحياة الدينية لعرب الجاهلية ، وناقشت مفهوم
الشرك الذي يطلق على اهل ذلك العصر ، وتوصلت الى ان الشرك يفهم
من تقديس معبودات مع الله سبحانه على انها وسائل يتخذونها لتشفع
لهم عند ربهم ، لا على انها شريكة في ملك الله او انها خالقة مدبرة .
وان العرب كانوا على دين ابراهيم دين التوحيد ، وهم بعد يؤمنون
بالله الواحد القادر الخالق الرازق الذي بيده امر كل شيء . . . وقد
دخلت الاصنام في حياتهم في عصر متأخر ، وبينت سبب دخولها
وكيفيته . ونظرت في مدى تمسك العرب بدينهم فوجدت ان الاعراب
اقل احتفالا بالدين واهتماما بالاصنام من العرب المتحضرين .

وقد تبينت لدينا ديانات في الجزيرة كانت تنافس الوثنية الدين
العام للعرب ، منها الحنيفية دين ابراهيم ، وقد شهدت المدن بخاصة
مجموعة من هؤلاء الاحناف ، الذين كانوا يترقبون الدين الجديد ويبدشرون
به . وهناك ديانتان اخريان موحدتان كان تأثيرهما محدودا ضيقا ،
هما : اليهودية والنصرانية اللتان لم تستطعا ان تدحرا الوثنية او تقللا
من شأنها . وكان الى جانب ذلك كله ديانات جاءت من الامم المجاورة ،
مثل المجوسية والذهرية وعبادة النجوم والكواكب وغيرها .

وبعد :

فارجو ان اكون قد قدمت في هذا البحث بعض ما اصبوا اليه

من خدمة العربية وراثتها ، فلها علي يد لا تجحد وفي قلبي لها حب لا
يفنى ، وقد نشدت وجه الحق في كل سطر كتبتة ، وكل رأى ارتأيتة ،
وقد وزعتي اليقين الصادق عن الحماس الضال الكاذب ، فان اصبحت
فذلك حسبي ، وان اخطأت فما انا الا امرؤ ضعيف يصيب قلبا
ويخطئ ، كثيرا ، وسبحان من له الكمال وحده ، فنه السداد وبسه
التوفيق .

والحمد لله اولا و آخرا

محمي وهيب الجبري

تهديد

بلاد العرب

جزيرة العرب او شبه جزيرة العرب ، اكبر شبه جزيرة في العالم ، تقدر مساحتها بثلاثة ملايين كيلو متر مربع وكانت في الازمنة الغابرة الموغلة في القدم خصبة مزروعة عامرة بالسكان ، اذ تأتياها الرياح الغربية المشبعة بالغيوم والتي تظطر مرتفعات سورية وفلسطين ، فتمطر الجزيرة ايضا مطرا غزيرا تجرى به السيول في الاودية الكثيرة ، وقد بقيت الاودية العميقة في قلب الجزيرة وانحائها من آثار تلك السيول الجارفة والامطار الغزيرة التي هي سبب الحياة فيها .

ويتميز سطح الجزيرة بسهل منحد من الغرب نحو الخليج العربي ومنخفضات ارض الرافدين وترتفع على هذه المهامه والبطاح الواسعة الشاسعة سلسلة جبال محاذية لساحل البحر الاحمر ، ترتفع ارتفاعا شاهقا اذ يبلغ في الشمال عند مدين تسعة آلاف قدم ، ويشمخ في الحجاز جبل السراة الذي يبلغ عشرين ألف قدم وفي اليمن جنوبا اثني عشر الف قدم وتنحدر الارض انحدارا تدريجيا نحو الشرق ، وانحدارا انجاثيا قصيرا نحو الغرب حيث البحر الاحمر .^(١)

(١) انظر الحمداي - سنة جزيرة العرب من ٦٧ ط ليدن وقد افدنا في هذا الفصل من جملة مراجع حديثة اهمها : جزيرة العرب - حافظ ومبة وتاريخ العرب - =

وترتفع هضبة نجد في المنطقة الشالية الوسطى حوالي ٢٥٠٠ قدم وفيها سلسلة جبال تعرف بجبال شمر ، واهم قممها جبل أجأ وهو من الغرانيت الاحمر ويبلغ ارتفاعه ٥٥٥٠ قدما فوق سطح البحر، وهناك جبال اخرى تمتد وراء السهول الساحلية من جهات الجزيرة الثلاث تتفاوت في الارتفاع اعلاها الجبل الاخضر الذي يبلغ ٩٩٠٠ قدم وهو الموضع الوحيد المرتفع من الناحية الشرقية اذ ان المنطقة الشرقية هي منطقة الانحدار .

اما بقية الارض غير الجبال والهضاب فانها في الغالب صحارى ودارات ، والدارات سهول رملية مستديرة بين التلال تستقر تحت سطحها المياه ، منها بادية الشام التي يعرف قسمها الجنوبي بالحماد ، وكذلك بادية العراق التي تعرف ببادية السماوة .

وتتميز الصحراء العربية بثلاثة انواع من الاراضي هي :
اولا : النفود :

وهي بادية متسعة تزيد رقعته على مائة الف كيلومتر مربع ذات رمال متموجة بيضاء تضرب الى الحمرة تسفيها الرياح فتحمل منها كدباناً او تلالا تغطي الجزء الشمالي من الجزيرة بين نجد وبادية الشام وبين نجد والاحساء وفي جنوب الجزيرة في الربع الخالي ، ويمكن تحديد النفود^(١) بوادي السرحان شمالا ، وجبلي أجأ وسلمى (جبل شمر) جنوبا وتقع واحة تيماء في الجنوب الغربي من صحراء النفود

= جواد علي الجزء الاول . وتاريخ العرب فيليب حتى وجرحي وبيور ١٠/١ - ١٧
ومحاضرات في تاريخ العرب - صالح احمد البلي ١٣/١ - ١٥
فروخ ص ٢٦-٣٦ .

(١) النفود او النفوذ بالذال المعجمة : التي يصعب اجتيازها والطريق النافذ هو الطريق السالك : انظر الاسان والقاموس : نفذ .

ومدينة حائل في الجنوب الشرقي . وهي على العموم جافة الا في مناطق قليلة هي الواحات التي تصيبها الامطار احيانا فتنبت فيها المروج الخضرة فيكثر خيرها وترعاها ابل البادية وانعامها .

ثانيا - الدهناء :

وهي ارض ذات رمل ناعم لا تصلح للنبات ولو سقطت عليها الامطار ، تحتل وسط الجزيرة على شكل قوس كبير يمتد من الشرق حتى الغرب ، وتنحصر الدهناء بين النفود شمالا والربع الخالي جنوبا ، والربع الخالي جزء من الدهناء منحصر بين عمان شرقا واليمن غربا ، وقد عرف الجانب الغربي من الدهناء باسم الاحقاف^(١) .

وتصيب الامطار هذه المنطقة في الشتاء ، فتنتشر فيها الخضرة وترعاها الماشية ، اما في الصيف فتقف الارض ويصيبها الجذب فلا تصلح للحياة . اما الربع الخالي فما زال مجهولا والمعلومات عنه قليلة ، وقد قام برترام توماس بمحاولة - سنة ١٩٣١ - لقطعه واجتيازه من البحر العربي نحو الخليج الفارسي واستغرقت رحلته ثمانية وخمسين يوما ، ووصف رحلته هذه في كتابه (العربية السميدة)^(٢) فذكر الرمال المفردة التي كان العرب يظنونها اصوات الجن ، واكتشف

(١) الحقف : الموج من الرمل او الرمل العظيم المستدير او المستطيل المشرق . انظر اللسان والقاموس والتاج مادة (حقف) وهو منطقة الشجر قرب خضرموت اليمن ، وفي الاحقاف منازل عاد وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم واسم (الاحقاف) سميت السورة قال تعالى : (واذكر الخاعد اذ اندر قومه بالاحقاف) سورة الاحقاف ٢١ وأخو عاد هو هود عليه السلام .

Bertram Thomas :

(٢)

Arabia Felix Across The Empty Quarter of
Arabia (New York 1932)

بحيرة من المياه المالحة عرفت فيما بعد انها من متفرعات خليج العرب
جنوبي قطر .

ثالثا - الحارار :

الحارار جمع حرة وتسمى اللوبة او اللابه ، ارض ذات حجارة
فخرة سود تتكون من الحجارة والمعادن الى المصهورة التي تسيل من
البراكين^(١) ، وتكثر الحارار في المناطق الغربية والوسطى من الجزيرة
وتتجه نحو الشمال حتى حوران الشرقية ، وفي معجم البلدان ذكر
لحارار كثيرة تبلغ الثلاثين واشهرها حرة المدينة التي نشبت فيها وقعة
الحرة المشهورة سنة ٦٣٣ هـ وتعرف بحرة النار قرب خيبر ، ويقال بل
حرة واقم التي تنسب اليها وقعة الحرة^(٢) . ومن الحارار المشهورة في
الجزيرة : الخدرية حرة لبني سليم ، وحرة واقم في المدينة وحرة ليلى
بديار قيس وحرة الحوض بين المدينة والعقيق وحرة شوران وغيرها^(٣)
وهناك حارار كثيرة منبثة في وسط الجزيرة وغربها تصعد الى الشمال
حينما وتهبط الى الجنوب في حين آخر ، ويقال ان البراكين التي قذفت
هذه الحمم والحجارة كانت تشور بين آونة واخرى فتقذف بنيرانها ،
وكان آخرها في الاسلام في عهد عمر سنة ١٩ هـ فأمر عمر بالصدقة
فتصدق الناس فانطفأت^(٤) .

هذه انواع الصحاري في بلاد العرب ، وفي وسط هذه الصحاري

(١) لسان العرب والقاموس المحيط (حرر)

(٢) ياقوت - معجم البلدان (حرر)

(٣) المصدر السابق ومعجم ما استعجم - البكري ٢/٤٣٥-٤٣٨ والقاموس

واللسان (حرر)

(٤) ابن الاثير - الكامل في التاريخ ٢/٢٣٨ ط القاهرة ١٢٩٢ هـ

والدوائر تنفسح هضبة نجد التي تتكون من طبقة من الحجارة
الكلسية تتخللها بعض البقع الرملية^(١).

هذا التقسيم الذي شهدناه من حيث طبيعة الارض ، اما التقسيم
الذي اصطلح عليه الجغرافيون من حيث اثر البيئة الجغرافية في
الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فانهم يقسمون بلاد
العرب الى المناطق او الاقاليم الخمس التي هي :

١ - الحجاز :

وارضه جبلية خصبة كثيرة المياه ، وبها وديان كثيرة اشهرها
وادي القرى بين العلا والمدينة . والقسم الشمالي من الحجاز يسمى
ارض مدين وكانت تسكنها جذام^(٢) وارض حسمى وبها آثار لأمم
بادت ومن جبالها ادم الذي ورد ذكره في القرآن كما يرجح^(٣) وتكثر
في الحجاز المواضع البركانية والحرات ، وتنتشر فيه الآبار والعيون
وبخاصة في القرى والمدن حيث يحدث الخصب والزرع ، مثل يثرب
او المدينة كما سميت حين دخلها الرسول الكريم ، ووادي القرى
شمالي يثرب ، ومثل مدينة قرح التي كانت تقوم فيها سوق عظيمة
في الجاهلية ، وكذلك مدينة الحجر او مدائن صالح وقومه ثمود ،
وحول المدينة قرى ذات زرع سكنها كثرة اليهود مثل خيبر وفدك ،
وقد سكنت هذه المنطقة بعض القبائل العربية قبل الاسلام مثل
عذرة وبلي وجهينة ، اما قضاعه فكانت عشائرها منتشرة نحو الشمال
حتى شبه جزيرة سيناء ومن مدن الحجاز المهمة مكة ذات المركز

(١) تاريخ العرب فيليب حتي ١٩/١

(٢) اللسان (جذم)

(٣) ياقوت - معجم البلدان ٢٧٧/٣

التجاري والديني ، وفي جنوبي مكة الطائف وهي مصيف المكيين منذ القديم وتبعد عن مكة حوالي خمسة وسبعين ميلا ، والطائف عند جبل غزوان وتحيط بها اودية وآبار كثيرة .

٢ - تهامة :

وهي المنطقة الساحلية الممتدة على البحر الاحمر او بحر (القلزم) ، وتسمى الغور او السافلة لانحدارها^(١) وتعرف في الجنوب ب (تهامة اليمن) وهي ارض وملية شديدة الحرارة ، وفي تهامة بعض الثغور والمرافى . مثل الحديدية في اليمن ، وجدة وينبع في الحجاز ، وشمال الحجاز ثغر صغير يعرف بالوجه ويقال انه ثغر مدينة الحجر المعروفة الآن بمذائن صالح ، وفي جنوبي الوجه قرية الحوراء . وتمتد جبال السراة شرقي تهامة من الشمال الى الجنوب فاصلة بينها وبين هضبة نجد ومؤلفة اقليم الحجاز .

٣ - اليمن :

وتشمل اليمن مدنا كثيرة منها حضرموت ومهرة والشحر وظفار وعمان ، وبهذا كان الجنوب كله يدعى اليمن ، وقد ينحصر بالزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة وهي بلاد اليمن المعروفة الان ، ويعرف القسم الساحلي بتهامة اليمن ، تفصل بينها وبين هضبة اليمن جبال هي امتداد لسلسلة جبال السراة ، وفي اليمن كثير من الاودية والسهول والاراضي الخصبة التي تروىها الامطار الموسمية ، وبذلك عم فيها الخير وقامت حضارتها منذ القديم حتى جاء وصفها في القرآن الكريم : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال

(١) معجم البلدان ٢/ ٤٣٧ و ٦/ ٣١١

كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور^(١)، ومن أشهر أودية اليمن الخصبة تبالة، وبيشة المشهورة بالأسود والمنسوبة اليها فقالوا: (أسد بيشة). وتعرف المنطقة الشمالية من اليمن المجاورة للحجاز باسم عسير وفيها منازل بحيلة في الجاهلية، ومن مدن اليمن المشهورة صنعاء وعدن ونجران وظفار وزبيد.

٤ - العروض :

وهي صحار وسهول ساحلية وتشمل الياصرة^(٢) والبحرين وما والاها وقطر ومنطقة الاحساء والقطيف وفيها كثير من العيون^(٣) وفي الجنوب الغربي من القطيف تقع (العقير) وهي ميناء صغير^(٤) وعلى مقربة منها تقع (الجرعاء) وهي مدينة تجارية قديمة وسدوس ومنفوحة ويظن ان موطن قبيلتي طسم وجديس البائدتين في هذه المنطقة، وتمتد البحرين من البصرة الى عمان وبها منازل قبيلة عبد القيس في الجاهلية. ومن اعمال عمان صحار ودبا وكانت تقام فيها سوق مشهورة في الجاهلية، وتشمل العروض منطقة الكويت الحاضرة وكانت تعرف بكازمة، ومن المدن القديمة هجر المشهورة بكثرة تمرها حتى قالوا في الامثال: (كجالب التمر الى هجر) اما الخط التي تنسب اليها الرماح الخطية فهي القطيف نفسها.

٥ - نجد :

تقع نجد وسط الجزيرة وتشمل وادي الرمة، وما حاذى الحجاز

(١) سورة سبأ ١٥

(٢) وقد عدّها ياقوت في نجد كما سيأتي انظر معجم البلدان ٥٦٦/٨ .

(٣) جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبة ص ٦٨ ط لجنة التأليف ١٩٤٦م

(٤) المصدر السابق ص ٧٢ - ٧٣

وتهامة من نجد يعرف بنجد العالية ، وما جاور العراق منها يعرف بنجد السافلة ، والمنطقة الشرقية منها عند اليمامة تعرف باسم الوشوم اما شمالها الى جبلي طى ، (أجأ وسامى) فيعرف باسم القصيم وهو الرمل الذي ينبت فيه الغضا ، والغضا ضرب من الأثل واليه ينسب اهل نجد فيسمون اهل الغضا ، وتشمل نجد اليمامة عند ياقوت^(١) وتسمى بـ (جو) ومر كزها حجر وهي موطن طسم وجدليس ومن مدنها منفوحة وبها قبر الأعشى الشاعر ، وسدوس وهي مدينة قديمة، وتنفسح ارض نجد من الشمال على بادية الشام التي تكثر فيها الاودية والواحات ، وبادية العراق او بادية السماوة ، وتفصل بينهما وبين نجد صحراء النفود الواسعة ، اما من الناحية الشرقية فتكون صحراء النفود فاصلا بين نجد وبين البحرين وتسمى هنا الدهناء او (رملة عاجل) وهي منازل تميم وضبة في الجاهلية والاسلام .

المناخ :

مناخ الجزيرة بعامة جاف حار قليل المطر صيفا ، وبارد شديد البرودة شتاء ، وعلى الرغم من ان البحار تحيط بالجزيرة من جوانبها الثلاث ، فان جو الجزيرة بقى جافا حارا ، فرياح السموم التي تهب صيفا تمتص الرطوبة قبل ان تتمكن من التوغل داخل الجزيرة ، فذلك لم تستطع هذه البحار تلطيف جو الجزيرة ، اللهم الا سواحل المحيط الهندي التي تسقط عليها الامطار التي تحملها الرياح الموسمية في الصيف وخاصة في اليمن . اما الحجاز فالأقطار فيه قليلة ، وقد

(١) معجم البلدان ١٦/٨ هـ

يستمر الجفاف أكثر من موسم ، وإذا جاءت الأمطار في بعض المواسم فقد تأتي غزيرة تنشأ منها السيول ، ويتحدث البلاذري عن سيول مكة فيخصص لها فصلاً في كتابه فتوح البلدان ^(١) ، وأمطار الحجاز تحملها الرياح الغربية التي تهب من الناحية الغربية الشمالية وهي أمطار شتوية ، أما المناطق الداخلية الوسطى فأمطارها قليلة ولذلك صارت أمطار نجد غزيرة يثمنها الناس فأسموها غيثاً ^(٢) .

وأهم المناطق التي ينزل عليها المطر مدراراً ، اليمن وعسير ، فحافظت لذلك أرضها بالخضرة وانتظمت الزراعة فيها وامتلات أوديتها بالمياه . أما إقليم الجزيرة الوسطى وجبل شمر فتسقيها الأمطار المتأتية من مياه الخليج الفارسي وكذلك عُمان في الجنوب الشرقي من الجزيرة فإن الأمطار تسقط فتسقى الأرض الزراعية الخصبة .
وحين ينقطع مدد السماء عن الجزيرة وتحتبس الأمطار ، يعم الجذب والجفاف ويحل المحل والهلاك ولذلك سمي الجذب سنة بالنسبة للموسم فيقولون (أصابتنا سنة أتت على الأخضر واليابس) . وقد دفعتهم قلة الأمطار إلى النقلة - وخاصة في نجد - في طلب العشب والكلاء والماء .

ومن هذا نجد أن الزراعة المنتظمة التي تعتمد على الأمطار الموسمية هي في المناطق الساحلية الجنوبية والشرقية ، وهي في مناطق الحضر المستقرين ، على نقيض المناطق الشمالية التي تعتمد على المراعي ، وقد

(١) ص ٥٣ - ٥٥ ط ليدن ١٨٦٦ م

(٢) وأسموها جوداً وحيأ لما في ذلك من معنى اللون والنمرة والخير والكرم والحياة ،

قام الاستقرار في المناطق الشمالية في الواحات المنتشرة في أنحاء من الجزيرة^(١) وبعض المدن التي تكثر فيها الآبار والمياه الجوفية، ويمكننا أن نعزو سكن كثير من القبائل الكبيرة في نجد إلى هذه الواحات والمياه الجوفية، حيث يمتد وادي الرمة ذو المياه الجوفية في قلب نجد. وكذلك يعود الفضل في خصوبة حضرموت وزراعتها إلى الأودية العميقة التي تحوي المياه في باطنها. فالجزيرة وإن حرمت من الأنهار الجارية، فإنها تسقى من العيون الثرة والمياه الجوفية والوديان التي تملؤها السيول شتاء، وما تجود عليها السماء من مطر غزير في السواحل، عزيز قليل في نجد والحجاز. ولم تعد قمم الجبال من الأجواء الباردة التي ربما جمد الماء فيها كما هو معروف عن جبل غزوآن بجوار الطائف^(٢)، وقد تسقط الثلوج في صنعاء شتاء، كما تسقط على قمة جبل حضور الشيخ في اليمن^(٣).

وقد رسمت هذه الوديان^(٤) والآبار ومواقع الواحات اتجاه الطرق لقوافل التجارة والمواصلات، فالقوافل عادة تتبع طرق المياه وتحاذيها وبذلك كان طريق العراق محاذيا وادي الرمة مارا ببريدة في نجد،

(١) الواحات هي الدارات التي يكثر ذكرها في الشعر الجاهلي كدارة جلجل ودارة الأرام والأبرق وغيرها والدارة كل أرض واسعة بين جبال، ويصف الشعراء الدارات على أن فيها مياه غامرة يقصدونها للهو والشرب كما نعرف من وصف امرئ القيس لدارة جلجل ودمون. ودارات العرب كثيرة أحصى الفيروز آبادي أكثر من مائة وعشر. انظر القاموس المحيط (الدار) ٣١/٢.

(٢) مسالك الممالك ص ١٩ ط لندن ١٨٧٠ م

(٣) تاريخ العرب - فيليب حتى ٢١/١

(٤) يرجع الدكتور صالح العلي أن هذه الوديان كانت في الأزمنة القديمة مجاريه النهار. محاضرات في تاريخ العرب ١٤/١ ط ٣

أما طريق الشام فيمر بوادي سرحان متاخما لساحل البحر الاحمر ،
وهناك خطوط اخرى معظمها ساحلية حول الجزيرة ، وبعضها داخلية
تخترق الجزيرة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي متابعة الواحات
الوسطى ومبتعدة عن مناطق الجفاف والربع الخالي على الخصوص^(١) .

نبات الجزيرة :

ان طبيعة المناخ هذه بما فيها من جفاف الهواء وقلة المياه وملوحة
التربة ، لم تساعد النباتات على النماء والازدهار والانتشار ، ولذلك
توزعت النباتات في الاماكن الخصبة ذات العيون والامطار . وأهم
نبات الجزيرة هو النخل الذي يكثر في الحجاز ، وتمر النخيل أو
البلح هو أهم طعام البدوي واكثره ، فان قوام الحياة في البادية هو
التمر واللبن وفي القليل لحم الابل ، فالتمر هو الطعام الصلب الوحيد
الذي يتناوله ابنا الجزيرة^(٢) ، وبحسب البدوي الاسودان : الماء
والتمر ، ونوى التمر يسحق ويصنع منه اقراص لعلف الابل ، ومنه
يصنع النبيذ وخاصة في الطائف .

اما الحبوب فيزرع الشمير في وادي القرى وفدك وخيبر
والمدينة ، وتكثر الحنطة في اليمن واليامة وبعض الواحات ، وتزرع
الذرة في عسير ، والارز في عمان والحسا .

وموطن الافاوية في اليمن ، كالمز والمز المكلاوي وأنواع البخور
والطيب . وينمو شجر اللبان على الهضاب المحاذية للساحل الجنوبي
ولا سيما في مهرة . ويكثر الصمغ في عسير ، اما شجرة البن فقد

(١) تاريخ العرب - فيليب حقي ٢١/١

(٢) عيون الاخبار - ابن قتيبة ٢٠٩/٣ - ٢١٣ ط القاهرة ١٩٣٠ .

دخلت اليمن من الحبشة في القرن الثامن الهجري وتسمى شحر
الاسلام^(١).

وتنمو في الجزيرة انواع اخرى من النباتات منها الطلح الذي ينتج
الصمغ العربي ، والغضا الذي منه الفحم الجيد ، والسمح الذي تطحن
حبوبه فتصنع منه العصيدة . أما الكروم فوطنها المشهور الطائف
حيث اشتهرت بالنبيذ المعروف بنبيذ الزبيب . وفي المدن الساحلية
وبعض الواحات تنمو الفواكه كالرمان والتفاح والشمش والموز
والبرتقال والليمون الحامض والبطيخ وكذلك قصب السكر^(٢).

وتنمو الاشجار الصحراوية في بادية نجد كالطلح وهو شجر عظام
ترعاه الابل ، والدوم وهو شجر المقل ، والسدر البري أو الضال ،
والسلم والأرطى ، وهناك اشجار ضخمة من الأثل وهي الطرفاء
والشوحط والشریان والنبع والغرب ، ويتخذ من هذه الاشجار القسي
والسيام ، اما الأراك فهو شجر من الحمض تتخذ منه المساويك
وتتفكه به الابل بعد أن تشبع لما فيه من ملوحة ومرارة والأراك
ثمري يدعى الكباث . ومن نبات البادية ايضا الشيع والقيصوم
والعرمض وهو صغار شجر الاراك والسدر ، ومن مراعي الابل
المليحة السعدان والبرسيم وهو حب القرظ وهو نوع من كراث
المائدة وكذلك الفقع وهو نوع من الكمأة^(٣) ومن الاصباغ النيل

(١) الكواكب السائرة - نجم الدين الفزي ١/١٤٤ ط بيروت ١٩٤٥

(٢) تاريخ العرب - فيليب جتي ١/٢٢-٢٣

(٣) تاريخ الجاهلية - عمر فروخ ص ٣٣ ط بيروت ١٩٦٤

والورس والخنا، ويستعمل الحنظل وهو نبات صغير مرّ يشبه
البطيخ، لدبغ الجلد وكذلك القرظ وهو ورق شجر السلم، ويستعمل
الاشنان في التنظيف كالصابون، ويستعمل نبات السناء دواءً مسهلاً،
ومن النباتات الطيبة الرائحة الآس والعرار وهو بهار البر - زهر بري
أصفر - والحزامي وشقائق النعمان وغيرها .



الفصل الأول

عرب الجاهلية

أريد هنا أن أقف عند نقطتين أراهما على قدر كبير من الأهمية ،
أولاهما : الجاهلية حدّها ومفهومها ، والثانية : أهل هذه الجاهلية من
عرب وأعراب والفرق بينهما ، فقد اضطرب مفهوم الجاهلية في كثير
من كتابات الكتاب والباحثين ، وراح فريق من الناس يخلط في
هذا المفهوم ويضيف إليه ما ليس له ، ويصمّه بما ليس فيه ، حتى غدت
صورة الجاهلية في الأذهان صفة للجهل والجور والبدائية . ولا شك
أن ثمة كثيرا من الدوافع املت على الناس أن يفسروا الجاهلية هذا
التفسير ، من ذلك العصبية الدينية والعصبية العرقية .

وكذلك اضطرب الناس وخلطوا بين معنى العرب والأعراب ،
فنجد أن اسم الأعراب ومدلوله يطلقان على العرب ، ومعنى العرب
ينصرف إلى الأعراب والبدو الجفاة . وهذا الخلط قديم ، نجده عند
ابن خلدون وغير ابن خلدون ممن كتبوا عن العرب وبحشوا في حياتهم ،
سواء في ذلك عرب الجاهلية أم عرب الإسلام .

وأحاول هنا أن أحدد هذه المفاهيم وأوضح دالاتها على ضوء
النظرة الإسلامية مستأنسا بآراء الكتاب القدامى والمحدثين :

الجاهليين :-

يطلق لفظ الجاهلية على عهد ما قبل الاسلام ، وقد تفنن المتعصبون من المسلمين وغير المسلمين في ذمها واطلاق شتى النعوت التي يراد بها الانتقاص والتهوين من امر ذلك العهد حتى ليخيل للناظر في اقوالهم ان الباطل كان سمة العصر والضلال طابعه فقالوا : انه الزمان الذي كثر فيه الجهال^(١) ، وهو عهد الجهل الذي لا علم فيه أو حرم اهله من أن يجيدوا ضربا منه وان قل شأنه ، وقد قسم الألوسي ذلك الجهل الى جهل بسيط وجهل مركب فقال : (فأما من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلا بسيطا فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلا مركبا ، فان قال خلاف الحق عالما بالحق أو غير عالم فهو جاهل ايضا كما قال تعالى : « واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » وقال النبي صلى الله عليه وسلم (اذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل)^(٢) ومن هذا قول عمرو ابن كلثوم في قصيدته :

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهليينا
أي لا يسفه احد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم اي نجازيهم بسفهمهم جزاء يربى عليه ... وكذلك من عمل الحق فهو جاهل وان علم انه مخالف للحق ، كما قال سبحانه : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب » .

فعنده ان الجاهلية العهد الذي فيه الجهل وفيه الضلال الذي هو

(١) محمود شكري الألوسي - بلوغ الأرب ١/١٥

(٢) المصدر السابق ١/١٦

عدم الحق وعدم معرفة الحق ، ولذلك يفسر وفق هذا الفهم قول الله تعالى في الجاهلين وقوله في الجهالة وان كانت الآيتان لا يراد بهما المعنى الذي ذهب اليه الالوسي ، وكذلك توجيهه لبیت عمرو ابن كلثوم الى السفه مع ان البيت ينصرف الى الظلم . وقد تفنن كذلك الاستاذ احمد امين في اختيار اقصى الالفاظ وأوحشها لرجم الجاهلين : بالسفه والغضب والاثفة فيفسر الآية الكريمة : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »^(١) وفق معناه الذي يريد ، ولا يفوته ان يستفيد من قول عمرو ابن كلثوم :

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ليصف حياة العرب في ذلك العهد بانها مصداق للكلمة (جاهلية)
فهي انفة وخفة وحمية ومفاخرة وسفه .^(٢)

وكذلك ذهب كاتب مقال مادة جاهلية في دائرة المعارف الاسلامية فيزعم ان المعنى الدقيق لكلمة (جاهلية) هو زمن الجهل ... اما الاسلام فهو زمن النور والمعرفة ، وجهل ضد علم ووردت بهذا المعنى كثيرا في اللغة القديمة ووردت اكثر في الازمنة القريبة من الاسلام من ذلك قول عنتره في معلقته :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك

ان كنت جاهلة بما لم تعلمي

على ان واقع حال العرب قبل الاسلام يفند ما ذهب اليه اولئك

(١) سورة الفرقان ٦٣

(٢) احمد امين - فجر الاسلام ص ٦٩

جميعا ، فليس من المعقول ان يقصد بالجاهلية معناها اللفظي الذي هو الجهل ضد العلم والفهم ، فيذهب اولئك يتصيدون كل ما ورد من مادة جهل في الشعر والقرآن والحديث وكلام العرب ، لأن من كانت صفاتهم صفات العرب قبل الاسلام ، لا يصح ان يكونوا ابنا جاهلية جهلا ، وعندهم الحضارة العريقة الممتدة في اعماق الزمان ، ولهم ذلك الفن القولي الممتاز متمثلا في الشعر والخطابة والامثال والرسائل والحكم الماثورة . وفي اكبر الظن ان الكلمة حين اطلقت في اول الامر اريد بها الدلالة على شيوع عبادة الأوثان بينهم ، فلا شك ان من العرب من كان ير كع لصنم وينجر لنصب ، ومنهم من عبد كوكبا او اعتنق المجوسية والصابئية دينا ، او كانوا من اصحاب الدهر ، وقد اشار القرآن الكريم في عدة مواطن لذلك ، فالجاهلية على هذا اذا قصدت فان معناها ينصرف الى تلك الوثنية السائدة قبل شريعة الاسلام .

ويذهب معنى الجاهلية من جهة اخرى - غير الدين - الى تلك الحالة الخلقية التي كانت حاضرة في نفوس العرب ، والاعراب منهم بصورة خاصة ، جماعها الغلو في تقدير الامور والاسراف وسرعة الغضب ، فقد كان من العرب من يفرط في الكرم حتى يغدو سرفا وتبذيرا ، ويغلو في الشجاعة حتى تعود حماقة وتهورا ، ويجاوز معنى النجدة الى الظلم . فالكلمة اذن تنصرف الى معنى الجهل الذي هو مقابل الحلم وليس ضد العلم ، ومن هذا قول الشنفرى في لامية العرب :^(١)

(١) اعجب العجب في شرح لامية العرب - الزمخشري ص ٤٨

ولا تزدهى الأجهال حامي ولا أرى

سؤولا بأعقاب الاقاويل أنمل

والى هذا المعنى يذهب عمرو بن كلثوم في معلقته في البيت
المقدم ذكره :

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وقد يتضمن معنى الظلم ايضا . ويعزز هذا المعنى الذي زُيد
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من استجهل مؤمنا فعليه
اثمه) قال ابن الأثير يبينه : (اي من تحمل على شيء ليس من خلقه
فيغضبه فانما اثمه على من احوجه الى ذلك)^(١) .

وقد غدت الجاهلية تثير في نفوس المسامين شعورا بكر اهلية عهد
وثنى ملو . بالظلم والآثام ، فهذا الرسول الكريم يسمع ابا ذر يعير
رجلا بأمه فيقول مؤنبا ومعاتبا : (انك امرؤ فيك جاهلية)^(٢) اي
فيك روح الجاهلية وطيشها ، تغضب فلا تحلم ولا تصبر ولا تسامح ،
على انه من الحق ان نذكر ان العهد الجاهلي عرف كثيرا من الناس
وصفوا بالظلم والصبر والتسامح والحكمة ، ولا يبعد عنا ذكر قيس
ابن عاصم وحامه ، وهرم بن سنان وطيبته وزهير بن ابي سلمى وحكمته
وغيرهم كثير ، حتى ان الرسول عليه الصلاة والسلام ليذكر السجايا
النبيلة والحياء والمروءة التي تمثلت باعرابي جاهلي مثل عنبرة ، فيقول :
(ما وصف لي اعرابي قط فاحببت ان اراه الا عنبرة) وكان الرسول
الكريم قد انشد قول عنبرة :

(١) النهاية في غريب الحديث ١٩٢/١

(٢) المصدر السابق

ولقد ابنت على الطوى واظلمه حتى ائال به كريم المأكل^(١)

وفي عموم القول ان المراد من معنى الجاهلية ما يتمثل في الذهن من مفهوم ديني ، فعهد الجاهلية كان قائما على الشرك والوثنية وفيه ضلال وظلم وظلمات ، واما العهد الاسلامي فعلى نقيضه ، هو هداية ونور ، ومصدق ذلك قول الله تعالى : (ليخرجكم من الظلمات الى النور)^(٢) وقد وردت (الجاهلية) في القرآن الكريم ويراد بها الخط من القيم الخلقية والاعتقادية لذلك العهد ، قال سبحانه : (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)^(٣) وقوله : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون)^(٤) وقوله : (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى)^(٥) وقوله : (اذا جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية)^(٦) وقريب من هذا قول الرسول في حديث الافك : (ولكن اجتهدته الحمية)^(٧) .

اما فترة الجاهلية فيحددها بعض المستشرقين بانها : (الاسم الذي يطلق على ما كانت عليه جزيرة العرب قبل ظهور الاسلام ، او بعبارة اخص ، الاسم الذي يطلق على الفترة التي خلت من الرسل بين عيسى ومحمد)^(٨) وقد اخذ الكاتب هذا القول من الآلوسي^(٩) دون اشارة

-
- (١) الاغانى ٢٤٣/٨
 - (٢) الحديد ٩
 - (٣) سورة آل عمران ١٥٤
 - (٤) المائدة ٥٠
 - (٥) الاحزاب ٣٣
 - (٦) الفتح ٢٦
 - (٧) النهاية في غريب الحديث - ابن الاثير ١٩٢/١
 - (٨) فير - دائرة المعارف الاسلامية مادة جاهلية
 - (٩) الآلوسي - بلوغ الارب ١٥/١

لذلك ويزيد الألوسي بانها أيام الفترة (وهي الزمن بين الرسولين وقد تطلق على زمن الكفر مطلقا ، وعلى ما قبل الفتح ، وعلى ما كان بين مولد النبي والبعث) وفي قول عن ابن خالويه : ان هذا اللفظ حدث في الاسلام للزمن الذي كان قبل البعثة . ويحدد نهاية هذا العهد فتح مكة لا البعثة^(١) .

على اننا اذا اخذنا الجاهلية على انها ثمرات ومثل وتقاليد ، فانها قد استمرت في نفوس كثير من المسلمين بعد فتح مكة ، وقد عادت جذعة فتمثلت في الردة وفي العهد الاموي وما يليه من عهود ، بل نستطيع القول ان كثيرا من عاداتنا ومآثينا الحاضرة إن هي الا من آثار الجاهلية ، اما ضابط آخر العهد فتح مكة فيعني ان الاسلام قد تمكن من القضاء على اقوى خصومه وأعظم خطر يهدد الدين ومثله العليا .

(٢)

العرب والاعراب :

جاء الاسلام دين بشري وهدى وإيمان ، جاء رحمة للناس وأمنا ، فقد ايقظ الجزيرة العربية من غفوة المت بها ، فنهضت بالاسلام لتلبس - وتلبس الناس معها - ثوب العدل والخير والإيمان ، فجدد لها عمرها ورسم لها طريقها وكتب لها عهدا مجيدا . وعلينا هنا ان نتبين اهل ذلك العهد الذين ضمهم الاسلام وهداهم سواء السبيل ، ونجلو لبسا

(١) الألوسي - بلوغ الأرب ١/١٠٥

حاصلا وغشاوة مربكة ، ان نفرق بين كلمتين كثيرا ما يقع الخلط بينهما والوهم في استعمالهما ، والكلمتان هما : العرب والاعراب ، فاحد كل منهما ؟

يستعمل القدماء احيانا كلمتي العرب والاعراب في حالة ترادف ، وترد الواحدة مكان الاخرى ، وقد تعمم كلمة العرب فيراد بها الاعراب ايضا ، قال الجوهري : (العرب جيل من الناس وهم اهل الامصار ، والنسبة الى العرب عربي والى الاعراب اعرابي ، والذي عليه العرف العام اطلاق لفظ العرب على الجميع)^(١) ويقول الآلوسي عن ابي العباس احمد بن عبدالله : (ان العرب اهل الامصار والاعراب سكان البادية وفي العادة يطلق لفظ العرب على الجميع)^(٢) .

ويكاد الاجماع ينعقد على ان العرب هم سكان الحاضرة والاعراب هم سكان البادية ، فيذكر الآلوسي ان شيخ الاسلام احمد بن تيمية في كتاب (الاقتضاء) يقول : (ان لفظ الاعراب هو في الاصل اسم لبادية العرب ، فان كل امة لها حاضرة وبادية ، فبادية العرب الاعراب ، وقد يقال : ان بادية الروم الارمن ، وبادية الفرس الاكراد ، وبادية الترك التتر ونحوهم)^(٣) . ويذكر ايضا قول اهل التفسير بأن العرب سكان المدن والقرى ، والاعراب سكان البادية من هذا الجيل أو مواليهم . ويوضح هذا ويحدده ما جاء في التنزيل قوله تعالى : (وجاء المعذرون من الاعراب

(١) الصحاح مادة عرب وكذلك القاموس المحيط للفيروز اباذي

(٢) بلوغ الارب ١٢/١

(٣) نفس المصدر والصنعة

ليؤذن لهم^(١) وفي قوله تعالى : (ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم)^(٢) فبدوية الاعراب واضحة بانهم (حولكم) ومقابلتها بـ (اهل المدينة) تعين ذلك .

ومن الطبيعي ان العقلية البدوية لا يمكن ان تدرك وتستوعب الدين الجديد بسهولة ويسر ، لطبيعة الحياة القاسية التي يحياها الاعراب ، ولذلك كان موقفهم من الدعوة موقف المستخف غير الملتزم بتعاليم الاسلام . ولذلك كثر المرتدون بينهم والناكثون بالعهود والذين يتربصون بالمسلمين الدوائر ، والقرآن يحكم فيهم بقوله : (الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ، ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم)^(٣) .

هؤلاء الاعراب وقفوا من الدين الاسلامي بالذهنية المتعصبة المغلقة التي لا تدرك معنى الدين وامر الرسالة وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيلهم الجهد والعناء ، فكانوا يمتنون عليه اسلامهم ، قيل : قدم عشرة رهط من بني اسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول سنة تسع للهجرة فيهم حضرمي بن عامر وضرار بن الازور ، فقال حضرمي : (يا رسول الله أتيناك نتدفع الليل الجهم في سنة شهباء ولم تبعث الينا بعثا) فنزل فيهم قوله تعالى : (يَمْنُونِ عَلَيْكَ أَنْ اسْلُمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ

(١) سورة التوبة ٩٠

(٢) التوبة ١٠١-١٠٢

(٣) التوبة ٩٧-٩٨

عليكم أن هذاكم للايمان ان كنتم صادقين^(١) ، وقد دخل كثير من الاعراب في الاسلام لحاجتهم الى العطاء ، لارغبة في الايمان ، فقد جاء في الاخبار : أن نفرا من بني اسد ثم من بني الحلاف بن الحارث قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في سنة جدبة ، فظهروا شهادة ان لا اله الا الله ، ولم يكونوا مؤمنين في السر ، وافسدوا طريق المدينة بالعذرات ، واغلوا اسعارها ، وكانوا يفدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : (انتك العرب بانفسها على ظهـور رواحـلها ، وجئناك بالاثقال والعيال والذراري - يئنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ...) ويريدون الصدقة ويقولون : اعطنا . فأنزل الله سبحانه فيهم : (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا) الآيات^(٢) وقد كانت الاعراب تبطن على الرسول ولا تحجبه اذا دعاها الى الجهاد ، فكان قد استنفرهم الى الحديبية فتخلفوا عنه ، وخرج مع رسول الله المهاجرون والانصار ومن لحق به من العرب^(٣) .

وما كانت الاعراب - الا القليل - تنظر الى الرسول النظرة الدينية التي تراها العرب ، بل كانوا يعدونه رجلا اوتي السلطان على العرب ، فيطيعونه على انه رئيس مقتدر لا نبي مرسل . وفي هؤلاء الاعراب كان المتعصبون من الكتاب ومن المستشرقين

(١) الحجرات ١٧ وانظر التويري - نهاية الارب ٢٨/٣٠

(٢) الحجرات ١٤ ونهاية الارب ١٨/٣١

(٣) المصدر السابق

يوسعون القول والتقول حتى يسحبوا مفهوم الاعراب على كل العرب ،
وهؤلاء ، غير اولئك . ومن هنا كان غلو أوليري^(١) وابن خلدون^(٢)
وغيرهم ممن اعتبروا الاعرابي بوصفه الذي جاء في القرآن ممثلاً لمواطن
الجزيرة العربية كلها ، غير ملتفتين الى سكان الامصار والقرى ،
واهل الدعوة والحضارة ، وحمله العلم والعمران من العرب .

على انه حتى في اولئك الاعراب من يؤمن بالله خالص الايمان
وينفق في سبيله مبتغياً رحمة ورضوانه ، وفي هؤلاء كان قول الله
تعالى : (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق
قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله في
رحمته ان الله غفور رحيم)^(٣) .

ومهما يكن من شيء ، فقد كان العرب المسلمون ينظرون الى
الاعراب المتبدين نظرة حذر وارتياب ، وكانوا لا يرتضون لاعرابي
تحضر ان يتبدى ، من ذلك ما روى عن النابغة الجعدي حيث اشتاق
الى قومه فدخل على عثمان بن عفان فقال : (استودعك الله يا امير
المؤمنين ، قال : وابن تريد يا ابا ليلى ؟ قال : الحق بأبلي فاشرب من
البانها ، فاني منكر لنفسي ، قال عثمان : أتعباً بعد الهجرة يا ابا ليلى ؟
أما علمت ان ذلك مكروه ؟ قال : ما علمته ، وما كنت لأخرج حتى
اعلمك)^(٤) . هذه النظرة غير المطمئنة الى الاعراب فسحت مجال

(١) انظر تفصيل رأيه في فجر الاسلام ص ٣٣

(٢) المقدمة ص ١٢١-١٢٢

(٣) التوبة ٩٩

(٤) الاغانى ١٠/٥ ط الدار وطبقات الشعراء ص ١٠٦-١٠٧

القالبة حول الاعراب وعليهم فهو أناس من شأنهم ، واسرف آخرون في وصفهم بكل منقصة وقوحش وطيش وسفه ، وهذا ضرب من التجني لا يتفق والنظرة العلمية المحخصة ، وإذا صدق بعض ذلك الوصف على قسم من القبائل ، فإن التعميم لا يصح ولا يصدق ، وخاصة إذا عرفنا أن كثيرا من أولئك الاعراب من سكن الحواضر والقرى ، وكان للقبيلة الواحدة حاضرة وبادية ، والتمازج حاصل بين سكنة الحواضر وسكنة البوادي ، وكثيرا ماتحيا القبيلة الواحدة حياتين : يستقر بعضها المدر فيتحضر ويسكن بعضها ظواهر القرى فيكون في أهل الوير متبديا ، مثال ذلك قریش حيث يذكر عنها صاحب اللسان : (قریش الأباطح اشرف واكرم من قریش الظواهر ، لأن البطحاويين من قریش حاضرة وهم قطان الحرم ، والظواهر اعراب بادية ، وضاحية كل بلد ناحيتها البارزة)^(١) . وكذلك جهينة كان منها من يسكن في الوير دون المدر ، في نواحي جيلي رضوى وعزور^(٢) ، بينما يسكن قسم آخر منها المدر في ينبع : (وهي قرية كبيرة غناء ، فيها عيون غزيرة الماء) ويسكن قسم ثالث منها الصفراء : (قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها)^(٣) .

وأولئك الذين سكنوا البادية لم يكونوا كلهم اعرابا بعيدين عن الايمان موغلين في الصحراء قست قلوبهم وغلظت اكبادهم ، بل منهم من كانوا قريبين من المدن ، مطيفين بها متأثرين بعاداتها آخذين

(١) لسان العرب - ابن منظور مادة (ضحا)

(٢) عرام بن الاصبغ - اسماء جبال تهامة وسكانها من ٧

(٣) المصدر السابق من ٨

من حضارتها بسبب ، فقد ذكر عرام بن الاصبغ في حديثه عن السوارقية قال : (قرية غناء كثيرة الاهل ... كان لبني سليم فيها مزارع ونخل وفواكه كثيرة ... وعم بادية الامن ولد بها فانهم ثابتون بها والآخرون بادون حوالىها ويمرون طريق الحجاز ونجد في طريق الحجاج)^(١).

وكان الرسول الكريم يفرق بين الاعراب الموغلين في الصحراء والاعراب المقيمين في الضواحي والمستجيبين لدعوة الاسلام ، فقد روى عن ام المؤمنين عائشة انها قالت : (لما قدمنا المدينة نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقبل هدية من اعرابي ، فجاءت ام سنبلة الاسلمية بلبن قد خات به علينا فأبينا نقبله ، فنحن على ذلك الى ان جاء رسول الله ومعه ابو بكر فقال : ما هذا ؟ فقلت : يا رسول الله هذه ام سنبلة اهدت لنا لبنا وكننت نهيتنا ان نقبل من احد من الاعراب شيئا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذوها فان اسلم ليسوا بأعراب هم اهل باديتنا ونحن اهل قاديثهم ، اذا دعوناهم اجابوا ، وان استنصرتهم نصرونا)^(٢).

يتعين من هذه النصوص ان المقصود بالبادية انما هو ظاهر القرية او ضاحيتها وما احاط بها ، وان كثيرا من القبائل كانوا يقطنون في هذه البوادي قريدين من الحواضر متصلين بها مختلطين بسكانها ، وهم غير تلك القبائل الموقلة في الصحراء البعيدة عن العمران الذين قست قلوبهم فوصفهم القرآن الكريم بشدة الكفر والنفاق .

(١) تنس المصدر ص ٦٥

(٢) ابن سعد - الطبقات الكبير ٢١٥/٨ طريدن

ومن كل ذلك يزداد حذرنا وارتيابنا من الاحكام التي تطلق
على العهد الجاهلي، والتي تصوره على انه عهد جهالة وبداعة وعرابية
بعيدة عن الحضارة والارتقاء، من غير مراعاة للفروق الواسعة بين
البيئات الصحراوية وبيئات البادية القريبة من المدن او القرى، والتي
كانت متصلة بمعالم المدنية لذلك العهد، مواكبة لركب الحضارة،
مستجيبة لداعي الاسلام.



الفصل الثاني

الحياة السياسية

(١)

القرن السادس هو الزمن الذي مرت به أحداث العصر، وإن لم تقف عنده أو تبدأ به. وبادية نجد هي مسرح الأحداث التي تدور حولها سياسة العصر وتتأثر بها كثرة القبائل التي سكنت هذه المنطقة، وإن كان أثر الأحداث يتجاوز هذه البقعة ويمتد منها إلى الجوانب المحيطة بهذا الاقليم، حيث الحجاز، وبلاد الشام، والعراق، والبحرين، واليمن.

وإذا ألقينا نظرة على مصور هذا العصر وتوزيع القبائل فيه فإذا نجد :

إن جغرافي العرب يتفقون على تقسيم الجزيرة العربية إلى أقسام خمسة : تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن. وإن اختلفوا في ضبط وتحديد هذه المناطق^(١). وقد توزعت القبائل - بعد

(١) ينظر تفصيل ذلك في صفة جزيرة العرب - الهداني ٤٨ وما بعدها، ومعجم ما استعجم للبكري ٧/١ وما بعدها (السقا ١٩٤٥) ومعجم البلدان - ياقوت ٧٦/٢ ومن الكتب الحديثة الجيدة تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي ٨٦/١ - ١٤٧.

الهجرات القديمة^(١) - على هذا الشكل :

١ - القبائل العدنانية :

نزلت قريش في مكة وما جاورها^(٢) . ومزينة في جبال رضوى
وقدس وآرة وما حولها من ارض الحجاز^(٣) وسكنت فهم وعدوان
جبال السراة في الحجاز ايضا ، وتجاورهم قبيلة هذيل^(٤) . واستقرت
ثقيف في الطائف بعد اجلاء بني عدوان وبني عامر منها^(٥) . اما ديار
هوازن فكانت بين غور تهامة الى ما والى بيشة وناحية السراة وحنين
واوطاس^(٦) ، ونزل الحجاز من القبائل القيسية ايضا ، بنو هلال واكثر
بني سليم^(٧) وكان منزل كنانة في ارض تهامة^(٨) .

اما في نجد : فبنو عامر بن صعصعة قبيلة لبيد ، وديارهم غربي نجد
مما يلي الحجاز^(٩) ، وكانوا اول امرهم يشتون في نجد ويصيفون في
الطائف ، فلما قوي امر ثقيف اجلتهم عن الطائف^(١٠) ، وديار بني كعب
ابن ربيعة بالفالج وباديتها^(١١) ، وغطفان موضعها بالحاجر^(١٢) ، ومنازل

-
- (١) ذكر المؤرخون هجرات قديمة للعدنانيين على اثر غزو ملك آشور بلاد العرب
وهجرة القحطانيين المروفة في اليمن . الاغانى ٧٨/١٣ ط الدار ومجمع البكري ١٩/١
- (٢) السيرة النبوية - ابن هشام ١٢٤/١ ط القاهرة ١٩٥٥
- (٣) مجمع البكري ٨٨/١ ط السقا ١٩٤٥ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
- (٤) مجمع البكري ٨٨/١
- (٥) نفس المصدر ٧٧/١
- (٦) مجمع البكري ٨٧/١
- (٧) مجمع البلدان - ياقوت ٢٥٠/٢
- (٨) مجمع البكري ٨٨/١
- (٩) مجمع البكري ٩٠/١ وان كانوا قد تنقلوا في اكثر من موضع
- (١٠) نفس المصدر ٧٧/١
- (١١) نفس المصدر ٩٠/١
- (١٢) شرح ديوان زهير ص ٢٢٦ ط دار الكتب

بني اسد مجاورة لمنازل طي. القحطانيين^(١) ، وهؤلاء الاخرون بين جبلي أجأ وسلمى ، ونزلت ضبة وقيم^(٢) بلاد نجد ، ثم انحدروا حتى خالطوا اطراف هجر ، ونزلوا ما بين اليمامة وهجر ، ومضى بنو سعد ابن تميم فحلوا رمل يبرين وخالطوا عبد القيس في بلاد قطر ، وذهبت طائفة منهم الى عُمان^(٣) .

اما في اليمامة ، فقد نزل بنو باهلة بن اعصر ، وبنو غنيم^(٤) ، وكذلك بنو تميم^(٥) ، اما حاضرة اليمامة (الحجر) فهي لبني حنيفة^(٦) ، وبعد حرب بكر وتغلب انتشرت بكر وعنزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين حتى اطراف العراق^(٧) . اما قبائل ربيعة : فقد نزلت عبد القيس البحرين بعد ان اجلت قبيلة اباد عنها ، وسار فريق من عبد القيس الى عمان وجاوروا الازد في بلادهم^(٨) . ونزلت قبيلتا تغلب والنمر بن قاسط حول نهر الفرات من ارض الجزيرة (جزيرة أقور)^(٩) ، ونزلت اباد - بعد أن اجلتهم عبد القيس عن موطنهم - العراق في سنداد وعين أباغ ، واصطدموا بالفرس في معارك كان من نتائجها أن تشتت شملهم ، فلحق فريق منهم بالشام ودانوا للغساسنة ، ودخل فريق آخر بلاد الروم^(١٠) .

(١) ديوان عبيد بن الاوس ص ٨

(٢) ، (٣) معجم البكري ٩٠/١ والاغانى ١٠/١٩ ساسي حول وثوب تميم على البيت الحرام

(٤) معجم البكري ٩٠/١ (٥) معجم البكري ٨٨/١

(٦) معجم البكري ٨٥/١ ومختصر كتاب البلدان ص ٢٨ ط ليدن سنة ٨٨٠ م

(٧) معجم البكري ٨٦/١

(٨) البيان والتبيين ١٢١/١ والبكري ٨٢/١

(٩) البكري ٨٦/١

(١٠) الاغانى ٢٣/١٠ ط ساسي ، انساب الاشراف ٢٥/١ ، البكري ٦٧/١ .

٢- القبائل القحطانية :

أما القحطانيون فأصلهم من الجنوب ، وهاجر أكثرهم الى الشمال ،
الابقية منهم بقيت في اليمن وما حولها . فأما الذين هاجروا الى
الشمال واستوطنوا هناك فمنهم : كندة التي رحلت الى نجد وأسست
لها إمارة في شمالي نجد وبادية الشام ودومة الجندل^(١) . والازد التي
تفرقت من اليمن فنزل فريق منها البحرين . وعرفت بـ (تنوخ) ،
وصعدت الى جنوبي العراق وأسست لحكم أهم عشائرها - دولة المناذرة
في الحيرة^(٢) .

واستوطن فريق منها بلاد الشام - وهم آل جفنة بن عمرو بن عامر -
فغلبوا الضجاعة وأقاموا دولة الغساسنة^(٣) . أما قبائل الأوس
والخزرج - وهم بنو ثعلبة بن عمرو مزيقيا - فنزلوا يثرب . وسكن
بنو حارثة بن عمرو بمر الظهران بمكة وهم خزاعة . ونزل فريق من
الازد عُمان فعرفوا بأزد عُمان ، وفريق آخر استوطن السراة ،
فعرفوا بأزد السراة أو ازد شنوة^(٤) . وحلت طي ، في سُمَيْر وقَيْد في
جوار بني أسد ، ثم غلبتهم على جبلي اجأ وسلمى^(٥) . وتفرعت لحكم الى
فرعين الاول نزل العراق ، وهم آل نصر بن ربيعة الذين آل الامر
اليهم بعد جذيمة الابرش ، ومنهم كان امراء المناذرة في الحيرة^(٦) .

(١) تاريخ ابن خلدون ٢/٣٨٨ ، ديوان عبيد بن الابرص ص ٨ .

(٢) تاريخ الطبري ١/٤٣٧ ، تاريخ بني ملوك الارض ص ٩٤ .

(٣) السيرة النبوية ١٣/١ .

(٤) السيرة النبوية ١٣/١ وفتح البلدان ١٥/١ وتاريخ ابن خلدون ٢/٢ .

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢-٣٣ .

(٦) تاريخ ابن خلدون ٢-٣٦ .

والفرع الثاني من لحم نزل جنوبي بلاد الشام في فلسطين^(١) . وكذلك نزلت جذام جنوبي الشام في الارض الممتدة من حدود ايلة - العقبة - الى ينبع محاذية لساحل البحر الاحمر^(٢) ، ونزلت الشام ايضا عاملة (اخت لحم وجذام) جنوبي البحر الميت^(٣) .

وفي الحجاز نزلت قبيلة خثعم ما بين وادي ييشة وتربة وما والاها ، وجاورتها قبيلة بجيلة^(٤) . وسكنت قبائل سعد هذيم - عذرة وحوتكة وجهينة - في وادي القرى^(٥) . وانتشرت قبيلة بلي بين شمالي يثرب الى تباه فالعقبة^(٦) ، وسكن بنو كلب دومة الجندل وبادية السماوة^(٧) . اما بهراء ، فنزلت بأعالي الشام بين حلب وحماة^(٨) .

أما القبائل القحطانية التي بقيت مقيمة في مواطنها ، فأهها : همدان ومنزلها شرقي بلاد اليمن شمالي صنعاء^(٩) . ومذحج ومنزلها في تليث ونجران ونواحيها^(١٠) . والاشعرون شمالي زبيد ، وكذلك قرب عك^(١١) ، ومنزل مهرة بالشحر من بلاد اليمن^(١٢) . وكانت قبائل حمير تنزل المنطقة الغربية لطفار حتى عدن وصنعاء^(١٣) .

-
- (١) صفة جزيرة العرب ١٢٩ (٢) تاريخ ابن خلدون ٣٧/٢
 - (٣) المصدر السابق والصفحة وصفة جزيرة العرب ص ١٢٩
 - (٤) معجم البكري ١٠/١
 - (٥) المصدر السابق ٣٨/١ وتاريخ ابن خلدون ٢١/٢
 - (٦) معجم البكري ٩٠/١ وابن خلدون ٢١/٢
 - (٧) معجم البكري ٥٠/١ وابن خلدون ٢٥/٢
 - (٨) الاغانى ٩١/١٥ ط ساسي
 - (٩) صفة جزيرة العرب ص ١٠٩ وابن خلدون ٢٩/٢
 - (١٠) معجم البلدان - ياقوت ٧٦/٢ وابن خلدون ٣٢/٢
 - (١١) ياقوت ٧٦/٢ وابن خلدون ٣٢/٢
 - (١٢) معجم البكري ٢٧/١
 - (١٣) ابن خلدون ١٥/٢ أما قبيلة قضاة من حمير فكانت في الشام ومنهم كان الضجاعة الذين ملكوا الشام قبل الساسنة . تاريخ ابن خلدون ٢٤/٢

(٢)

على هذا الشكل استقرت القبائل العربية في الجزيرة وتجاور العدنانيون والقحطانيون ، ولم يكن لهذه القبائل دولة تضمهم ، ولا نظام موحد يسودهم ، بل كانت كل قبيلة تكون وحدة اجتماعية وسياسية مستقلة ، وقد تجوز أو ليري فأعطى القبيلة مفهوم الدولة^(١) . وقوام القبيلة الاسرة ، وما القبيلة الا اسرة كبيرة تتضخم فتكون قبيلة ، وتنشطر القبيلة الى شطرين أو أكثر ، ويشمل كل شطر سلالة احد ابناء الجد الاكبر وتسمى باسمه ، وهكذا تستمر القبيلة في التضخم والانقسام على هذا المنوال^(٢) . فرابطة القبيلة هي رابطة النسب والدم رابطة الاب الكبير الذي ينتمون اليه ويعرفون باسمه ، وقد تكون القبيلة منسوبة الى الام - وهذا في القليل - مثل مزينة وبجيلة وختندف .

وهذه القبائل متشابهة في تكوينها ونظامها ، فكل قبيلة تقوم على اساس اشتراك ابنائها في الاصل الواحد والموطن الواحد ، وقد يكون هذا الموطن غير مستقر متنقلا مع المراعى ، وتجمع افراد القبيلة تقاليد واعراف تتمسك بها وتحترمها ، والرباط الاقوى في القبيلة هو العصبية ، والعصبية كما يعرفها ابن خلدون (النصر على ذوى القربى واهل الارحام ، ان ينالهم ضيم او تصيبهم هلكة)^(٣) .

(١) أساما اوليري : Patriarchal State

Oleary : Arabia before Mohammad . P. 8.

Smith : Kinship and Marriage in Early Arabia . (٢)

P. 3-4 .

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٣٨

فالفرد في القبيلة حريص على هذه الرابطة ، عامل من اجلها ، باذل في سبيلها ما يملك حتى دمه . وافراد القبيلة متضامنون كلهم في المصائب والمسررات ، والجزيرة التي يجنيها الفرد يتحملها المجموع ، وقد آمنوا بهذه الفكرة التضامنية في الخير والشر حتى ظهرت في امثالهم فقالوا : « في الجزيرة تشترك العشيرة »^(١) .

وللقبيلة رئيس او شيخ يتزعمها ، ويكون عادة من ذوى السن ، والخبرة ، والحكمة والحلم ، وسداد الرأي وبعد النظر ، والثروة ، والشجاعة ، والكرم ، وطلاقة اللسان بحيث يحوز رضا القبيلة وعجابها ، وينال احترامها ، فالقبيلة ترتضى لها رئيسا او شيخا تتوافر فيه صفات الرجولة والبطولة ، والنجدة ، والكرم ، وعراقة الاصل ، وصفاء النسب . وهذه الخصال هي التي تؤهلها للقيادة والزعامة ، ولم يكن من المستساغ في نظر العربي نظام الوراثة الذي عرف عند الملوك . وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل :^(٢)

انى وان كنت ابن سيد عامر

وفارسها المشهود في كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة

ابى الله ان اسمو بأم ولا أب

ولكنني احمى حماها وأتقى

اذاها وارمى من رماها بمنكب

(١) مجمع الامثال - المبدائي ١٤/٢

(٢) انساب الاشراف البلاذري ١٧٩/٢ والشعر والشعراء من ١٩٢ ط ليدن
وفيه خلاف .

والرئيس هو الذي يقود القبيلة في حروبها، ويقسم غنائمها، ويستقبل وفود القبائل، ويقوم بواجب الضيافة، ويعين المحتاج، ويقيل العاثر، ويفك اسرى قبيلته، ويتحمل القسط الأكبر من جرائم القبيلة وما تدفعه من ديات، فكل عظمة يعصبونها برأسه، ومن ذلك قالوا: (سيد معمم) يريدون ان كل جناية يجنيها احد في العشيرة معصوبة برأسه^(١). ولم يكن شيخ القبيلة مستبداً برأيه، بل يستعين بشيوخ القبيلة وذوي الرأي والشرف فيها، يستشيرهم اذا حزب الامر.

وكان افراد القبيلة يتمتعون بحرية في ظل النظام القبلي، ولهم حقوق متساوية لا يتميز بعضهم على بعض، وفي مقابل هذا كان على الفرد في القبيلة أن يخضع لرأيها ولا يخرج عليه، ولا يكون سببا في تفريق كلمتها، وتشتيت وحدتها، أو الاساءة الى سمعتها فانه اذا غلا في ذلك وكثرت جرائمه عرض نفسه للخلع، والخلع أشد عقوبة توجه للفرد في المجتمع البدوي، وفي اللسان «والخلع الرجل يجني الجنايات يؤخذ بها اولياؤه، فيتبرأون منه ومن جنايته»^(٢). ولذلك نجد أن افراد القبيلة جميعا يحرصون على سمعة القبيلة ومصالحها وصيانة حقوقها، وان أحدهم ليضحى لها بماله ونفسه، فهي حياته وكيانه، وهو مع اعترازه بفرديته وحرية، يجد أن تحقيق تلك الحرية في نطاق القبيلة وعصبيته لها.

على أن هذه العصبية لم تكن واسعة الحدود بحيث تشمل فكرة الامة والجنس العربي، بل كانت على الغالب ضيقة الحدود، لا تكاد

(١) عيون الاخبار - ابن قتيبة ١/٢٢٦

(٢) اللسان مادة (خلع)

تتجاوز حدود البطن ، أو القبيلة في مفهومها الضيق ، ولذلك نجد كثيراً من بطون القبيلة الواحدة في صراع وقتال^(١) . على الرغم من شعورها بوحدة نسبها . فكانت العصبية للرھط أو البطن ، تطفئ على العصبية الجامعة للقبيلة ، فاقولك بالشعب أو الامة .

ومصلحة القبيلة هي وحدها التي تحدد صلاتها بالقبائل المجاورة لها ، سواء ، ربطتها بها رابطة النسب ، أم لم تربطها . وربما آثرت القبيلة بدافع المصلحة أو الجوار أو الضعف محالفة قبيلة أخرى ، وتنضم القبيلة الضعيفة عادة الى قبيلة قوية ، تحميها وترد عنها العدوان^(٢) . والحلف - كما هو ظاهر من اسمه - بمعنى اليمين الذي كانوا يقسمونه في عهودهم ، فكانت المحالفات تتم بمظاهر دينية ، يشعر المتحالفون بخطر هذا التحالف ، فهم ينحرون هديا ، ويغمسون أيديهم في دمه ، ولذلك سميت اليمين المغلظة (غموسا) أو كانوا يغمسون أيديهم بطيب ، وقد عرف من ذلك حلف المطيبين الذي تعاقد فيه بنو عبد مناف ، وبنو زهرة ، وبنو قيس ، وبنو أسد ، ضد بني عبد الدار وأحلافهم ، أو كانوا يوقدون ناراً - فعل المجوس - كما فعلت قبائل مرة بن عوف الديانين حين تحالفت عند نار ودنوا منها حتى يحشتهم فسمي حلفهم باسم (الحاش) وغير ذلك^(٣) . وحين تدخل القبيلة في

(١) كما اقتتل فرعا بني عامر - بنو جعفر بن كلاب ، وبنو أبي بكر بن كلاب بسبب ابن ضبا الاسدي - النقائض ص ٥٣ ط أوربا وكذلك قتال بني جعفر والضبابة في يوم هراميت . النقائض ص ٩٣٧ ومعجم البلدان ٤٥٠/٨ وكعرب الفساد بين بطون طي . ابن الاثير ٣٨٨/١

(٢) معجم البكري ٥٣/١ ط السقا

(٣) تاج العروس (عتس)

حلف يصباح لها على أحلافها كل الحقوق، فهم ينصرونها على أعدائها ويردون الكيد عنها، وللقبيلة الحق في أن تنفصل عن الحلف متى شاءت، لتتضم إلى قبائل أخرى في أحلاف غيرها، ولذلك كثيراً ما تضعف بعض الأحلاف وتحل محلها أحلاف أخرى. وكانت بعض القبائل - وهي قليلة - تجد في نفسها القوة والعزة فلا تدخل في حلف من الأحلاف. وأولئك يعرفون بـ (جمرات العرب) ^(١).

كانت القبائل تسعى إلى المحالفات طلباً للامن، ودفعاً للعدوان، وإيثاراً للعافية ومع ذلك لم تستطع هذه المحالفات حقن الدماء التي كانت تسفك لاتفه الأسباب، بل ربما كان الحلف من أسباب الحرب، تسمى إليه القبيلة إذا هي طلبت تأراً عجزت عنه، أو نزلت بها مصيبة قعدت دون دفعها.

وحياة القبائل بعد ذلك سلسلة حروب ومنازعات، تنشب لأسباب ذات خطر أو ليست بذات خطر، وأهم خصوماتهم تقوم على مراعى السوام ومواقع المياه، والغزو الذي اتخذوه وسيلة من وسائل العيش، والثأر الذي لا يفصل عاره إلا الدم، وبذلك كانت حياتهم عمادها الحرب والغارة. والاستعداد توقعاً للخطر، فهم شاكوا السلاح، حاضرو العدة، معتصمون بصهوات جيادهم، يجردون في قعقة السيوف ووقع الاسنة وصهيل الخيل، استجابة لمعاني البطولة والقوة في نفوسهم. وقد سميت حروبهم ووقائعهم إياماً لأنهم يتقاتلون نهاراً فإذا جاء الليل حجزهم وفرقهم، فإذا حل اليوم الثاني عادوا للقتال.

(١) زهر الاداب - المصري ٢٥/١ ط السادة ١٩٧٢/٥١٩٥٣م

وايام العرب كثيرة بحيث يقال ان ابا عبيدة (معمر بن المثنى - ٢١١ هـ) الف كتاباً^(١) جاء فيه ذكر مائتين والـ الف يوم ، ولم يصل اليـنا هذا الكتاب . ولكن كتابه شرح النقائص ، حفظ طائفة كبيرة من تلك الايام . وقد ذكر الميداني في كتابه (مجمع الامثال) اثنين وثلاثين ومائة يوم ضبط اسماءها وبين احداثها والقبائل التي اشتركت فيها . وقد كانت الايام هذه مادة غنية للشعراء . فكان الشعر صدى واضحا لها ، حكى وقائعها ووصف هولها وبكى قتلاها ، وتوعد الحصوم ، وطالب بالثأر ، وافتخر بالنصر وعيّر بالهزيمة . وقد كانت الكتب التي عنيت بالايام^(٢) دواوين وملاحم رائعة صادقة ، حفظت ذلك الشعر ، الذي ما زالت روعته ونخامته تهز سامعيه ، وتبعث فيهم روح البطولة والبسالة والحماسة .

(٣)

وحياة العرب في الجاهلية لم تكن مقتصرة على هذا الشكل القبلي العصبي الضيق ، الذي تتحكم فيه الحمية ، وتبعث به العصبية والنزعات الفردية ، فقد انشأ العرب في قلب الجزيرة وأطرافها دولا وممالك واذا شئت الدقة ، امارات ، ونعرف منها - في هذه الفترة التي سبقت الاسلام - ثلاث امارات : امارة المناذرة في العراق . والفساسنة في الشام ، وكندة في شمالي نجد عند دومة الجندل . وقد

(١) التهرست - ابن النديم ص ٨٩ ط أوروبا .

(٢) ام الكتب التي اعتنت بالايام : نقائض ابي عبيدة ، والاغانى ، وتاريخ الطبري وتاريخ ابن الاثير ، والمقد الفريد ، ونهاية الارب فنوبرى ، ومجمع الامثال للميداني وغيرها .

كان حظ الامارتين الاوليين عظيماً ، من الترف والرخاء ، والحضارة ، وقوة السلطان .

فاما المناذرة : فقد اتخذوا الحيرة مستقراً لهم وعاصمة^(١) . وهم من قبيلة لخم اليمنية . وقد جاءوا العراق هم وبعض قبائل عربية - عرفوا باسم تنوخ - في حوالي القرن الثالث الميلادي^(٢) ونشأت امارة المناذرة في كنف الدولة الساسانية ، التي رأت ان تستفيد من استقرار العرب على حدودهم الغربية ، ليقوموا بحماية هذه الحدود ضد من يعتدي عليهم من الروم ، او عرب البادية ، وكان ذلك في عهد سابور الاول (حوالي ٢٤١ - ٢٧٢ م) . واول ملك للمناذرة هو عمرو ابن عدي اللخمي ثم ولي بعده ملوك من اسرته ، كان اهمهم واشهرهم (النعمان الاعور)^(٣) او السائح . صاحب قصري الخورنق والسدير ، وكتيبي الشهباء والدوسر . وكان معاصر الـ (يزدجرد الاول) (٣٩٩ - ٤٢٠) الذي ارسل اكبر ابنائه (بهرام جيور) الى النعمان في الحيرة لينشأ في بيئة عربية ، ويتعلم الفروسية وفنون الصيد ، وينعم بصحة البادية ، وقد اتقن بهرام اللغة العربية واحب اهلها ، فلما تولى الحكم بعد ابيه قرب عرب الحيرة اليه ، وذكروا لهم نصرتهم اياه حين شب النزاع بينه وبين اخيه حول العرش بعد موت ابيهما يزدجرد^(٤) . ومن ملوك المناذرة اللاحقين : المنذر بن ماء السماء (حوالي

-
- (١) تقع الحيرة على ضفة الفرات الغربية على بعد ثلاثة أميال من المكان الذي بنيت فيه الكوفة . والحيرة لفظ سرياني معناه الحصن . المنتظم - ابن الجوزي ١٧١/٢ .
(٢) تاريخ الطبري ٢٦/٢
(٣) سائح لأنه كان تزهدي ومجر الملقب في زمن بهرام جيور . أبو النداء ٧٠/١
(٤) مروج الذهب - المسعودي ٤٠٢/٢ ط اوربا

٥١٤ - ٥٥٤) صاحب الفريين المشهورين ، ويومى النعيم والبؤس ^(١) .
 وكان المنذر معاصراً لـ (قُباذ) ملك الفرس ، وكان قباذ قد اعتنق
 المزدكية واتخذها ديناً رسمياً للدولة . وأراد ان يفرض المنذر بها . فلما
 رفضها المنذر عزله وولى الحارث بن عمرو امير كندة مكانه . الا ان
 الايام لم تمهل قباذ ، فسرعان ما هلك وخلفه كسرى انوشروان ، الذي
 كان يبغض المزدكية ، فاعاد المنذر الى حكم الحيرة ^(٢) . وقد عرف
 المنذر بغاراته الشديدة ضد الفساسنة حتى قتل في يوم (أباغ) ^(٣) .
 وخلف المنذر ابنه عمرو بن هند (٥٥٤ - ٥٦٩ م) ^(٤) الذي عرف
 بالهرق ، لانه قتل مائة رجل من تميم حرقاً بالنار يوم أواردة باليامسة ،
 وكان طاغية مستبداً كرهه الناس والشعراء . فهجوه ، وهو صاحب
 طرفة والمتلمس ، وقصته معها مشهورة ، وفيه يقول الشاعر : ^(٥) .

أبى القلب ان يهوى السدير وأهله

وان قيل عيش بالسدير غرير

به البق والحمى وأشد خفية

وعمر بن هند يعتدي ويحور

وقد قيل ان عمرو بن كلثوم التغلبي قتل عمرو بن هند ثأراً

(١) الاغانى ٨٦/١ - ٨٨

(٢) المختصر في أخبار البشر ٧١/١

(٣) ابن الاثير - تاريخ الكامل ٣٢٩/١

(٤) الطبري ٩٤/٢ ط الحسبية - ويحدد جرجي زيدان تاريخ حكمة سنة ٥٦٣ م
 العرب قبل الاسلام من ١٨٥ - ١٨٦ .

(٥) الاغانى ١٢٦/٢١ ط ساسي .

لكرامة امه ليلى ، حين أرادت هند ان تذللها بأن تستخدمها^(١) .

وكان اخر ملوك المناذرة النعمان الثالث بن المنذر الرابع (٥٨٠ - ٦٠٢) المكنى بابى قابوس ، الذي امتد سلطانه الى البحرين وعمان ، وشهرت لطائفه التي كانت اجارتها سببا في حروب شغلت قبائل قيس ردحا من الزمان . وكان الشعراء يؤمون بلاطه ، ويحفظون برعايته ، فقد ذكرت كتب الادب اخبارا عن جملة من الشعراء منهم : النابغة الذبياني (وفي النعمان قال اعتذارياته المشهورة) والمنخل الشكري ، وليبد ، والمثقب العبيدي ، وغيرهم^(٢) .

وكانت نهاية النعمان في سجن كسرى الثاني الذي نكل به ورماه تحت ارجل الفيلة فحطمته . لانه قتل عدي بن زيد العبادي . وبسببه كانت وقعة ذي قار ، حيث انتصرت قبيلة بكر - حمية للنعمان - على الفرس وعلى اياس بن قبيصة الطائي . الذي نصبه الفرس خلفا للنعمان . وبقي أمر الحيرة مضطربا حتى فتح المسلمون العراق عام ٦٣٣ م . واذعنت الحيرة لخالد بن الوليد^(٣) .

* * *

واما أمانة الشام ، فقد اسمها الغساسنة ، وهم - كالمناذرة -

(١) الاغانى ٥٢/١١ ط الدار والشعر والشعراء ١١٨-١٢٩ ط ليدن . ويشير عمرو بن كلثوم الى ذلك في قوله من المعلقة :

تهددنا وأوعدنا رويدا متى كنا لملك مقتونيا

(البيت في شرح المعلقات للبرزني ص ١١٧ ط لايلى)

(٢) الاغانى ٣/١١ ط الدار

(٣) المختصر في اخبار البشر ٧٢/١ وتجاوب الامم - ابن مسكويه ص ٢٥٠-٢٥٢ ط ليدن .

من عرب الجنوب نزحوا الى الشمال . مع قبائل كثيرة اهمها جذام ، وعاملة ، و كلب ، وقضاة . وقد اقاموا امارتهم في شرقي الاردن ، ولم يتخذوا لهم حاضرة بعينها . وان كانت منطقة الجولان اشهر مناطقهم ، واشتهرت الجابية كذلك بانها كانت مقراً لملوكهم فعرفت بجابية الملوك^(١) . كما عرفت جائق - بالقرب من دمشق - من ضمن منازلهم .

وتاريخ الفساسة غامض على خلاف تاريخ المناذرة الذي كان مكتوباً وم محفوظاً في بيع الحيرة . قال ابن الكلبي : « إني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة الحيريين ومبالغ أعمال من عمل منهم لآل كسرى ، وتاريخ نسبهم ، من بيع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها »^(٢) . أما تاريخ الفساسة فقد كتب باليونانية ولم تكن صلة العرب باليونانيين مثل صلتهم بالفرس ، ونذر منهم من كان يتقن اليونانية ، ولهذا كثر الاضطراب في تاريخ الفساسة عند مؤرخي المسلمين .

لقد قامت دولة الفساسة في أواخر القرن الخامس الميلادي ، (حوالي ٤٩٢ م)^(٣) بعد أن تغلبوا على الضجاعة ، فقربهم الرومان منهم وجعلوهم درعا واقيا لهم ولحدودهم ضد غارات الفرس والمناذرة . وأول مؤسس لدولتهم هو جفنة بن عمرو مزريقيا ، لذلك يسمون آل جفنة . وأشهر ملوكهم وأقواهم الحارث بن جبلة (٥٢٨ - ٥٦٩ م)

(١) تاريخ العرب - جواد علي ١٥٢/٤ - ١٥٤

(٢) تاريخ الطبري ٣٧/٢ ط اوربا

(٣) يحدد دورسيفال تاريخ إقامة دولة الفساسة بالشام بحوالي سنة ٤٩٢ م :

C. De Perceval : Essai Sur L'histoire des Arabes.

V. 2. P. 189.

المعروف بالحارث بن أبي شمر الذي عرفت حروبه ضد الفرس وضد المنذر بن ماء السماء أمير الحيرة ، الذي قتله الحارث في يوم حليلة . وقد كان ذلك على عهد الامبراطور (جستنيان) الذي انعم على الحارث بالاكلي ، واعترف بسيادته المطلقة على جميع عرب الشام ، ومنحه لقب فيلارك ، أي شيخ القبائل ، وبطريق ، وهو أعلى لقب بعد الامبراطور ، وكان الحارث نصرانيا على مذهب اليعاقبة^(١) . وخلفه ابنه المنذر بن الحارث (٥٦٩-٥٨١ م) الذي هزم أبا قابوس ملك الحيرة سنة ٥٧٠ م في معركة عين أباغ^(٢) . وكان آخر ملوك الغساسنة جبلة بن الايهم الذي حارب المسلمين في صفوف الروم ، ثم أسلم في عهد عمر بن الخطاب ثم ارتد الى النصرانية . قال ابن خلدون : « ولما فتح المسلمون الشام وأسلم جبلة ، واستشرف أهل المدينة لمقدمه حتى تناولت النساء من خدورهن لرؤيته لكرمه وفادته ، وأحسن عمر زله وأحله أرفع رتب المهاجرين ، ثم غلب عليه الشقاء ولطمهم رجلا من بني فزاة ، وطى ، فضلل أزاره وهو يسحبه في الأرض ، ونابذه الى عمر في القصاص ، فاخذته العزة بالاثم ، فقال له عمر : لا بد أن أقيده منك ، فهرب الى قيصر ولم يزل بالقسطنطينية حتى مات سنة ٥٢٠ »^(٣) على أن الاخبار تصور جبلة وهو نادم على رده ، أسف على فعلته في عصيان عمر ، وتروى له في ذلك هذه الابيات :^(٤)

(١) O'Leary : Arabia before Mohammad. P. 21.

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ١٣٥/٤

(٣) تاريخ ابن خلدون ١١٢/٢ ط بيروت

(٤) الاغانى ١٥/١٦ ط بولاق

تنصرت الاشراف من عار لظمة
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها لجاج ونخوة
وبعت لها العين الصحيحة بالعود
فيا ليت امي لم تلدني وليتني
رجعت الى القول الذي قاله عمر

وقد كان بلاط الفساسنة - كما كان بلاط المناذرة - مقصد
الشعراء الذين نعموا بالهدايا والهبات ، مثل حسان بن ثابت ، والناطقة
الذبياني ، والاعشى ، والمرقس الاكبر ، وعلقمة الفحل ، وغيرهم .
هاتان الامارتان العربيتان على حدود فارس والروم كانت العلاقة
بينهما علاقة حرب ودماء وثورات ، وقد قامت بين هاتين الامارتين ،
امارة ثالثة لم يكن ولاؤها للملوك فارس او الروم ، بل كانت تمحض
ودها لعرب اليمن من الملوك الحميريين (ملوك سبأ وذو ريدان
ومينات) وتلك هي امارة كندة ذات الاصل الجنوبي ايضا ، وقد
قامت هذه الامارة في القرن الرابع الميلادي شمالي نجد ، واتخذوا
دومة الجندل حاضرة لهم ^(١) . وقد عرف من ملوك هذه الامارة
- التي لم يكن لها شأن الامارتين السابقتين ولا حضارتهما - حُجر الملقب
بأكل المرار ، الذي دانت له القبائل الكثيرة في نجد ، وامتد نفوذه
حتى اليمامة ، وكان فيمن دان له بالطاعة قبيلتا بكر وتغلب ، وان
تمردت القبيلتان بعد عهده ، حين ولي الحكم ابنه عمرو المقصور ، ثم

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢١٥/٣

قامت الحسرب بين بكر وتغلب ودامت طويلا قليل انها استمرت اربعين عاما ، وتلك هي حرب البسوس .

وكان خير عهود كندة ، واشدها نفوذا ، وأوسعها رقعة ، عهد الحارث بن عمرو ، حيث دانت له قبائل نجد واصلح بين بكر وتغلب فدانتا له ، وقد نظم حكمه بأن اقام ابنه شرحبيل على بكر ، وابنه الثاني معد يكرب على تغلب ، وولى على قبائل قيس عيلان ولده سلمة ، اما الابن الرابع حجر ابو امرى . القيس الشاعر فقد حكمه على بني اسد . وكان من قوة الحارث ، وسعة سلطانه ، ان عقد بحافنة بينه وبين امبراطور بيزنطة ، وشن حملات على المناذرة ، فوفق في غير معركة . ولما خلع قباذ ملك الفرس المنذر بن ماء السماء عينه حاكما على الحيرة - كما صرنا - غير ان الامور لم تستقم للحارث ، فسرعان ما مات قباذ ، وجاء كسرى انوشروان ، فعزل الحارث واعاد المنذر الى حكم الحيرة^(١) . واشتد الصراع بين الحارث الكندي وبين المنذر ، وكانت نهاية الحروب ان قتل الحارث وتداعت دولته ، واختلف ابنائه بعده ، فاقتتلوا فيما بينهم فقتل كل من شرحبيل وسلمة ، وجن معد يكرب وثارت بنو اسد على حجر فقتلته ، وحاول امرؤ القيس ابنه ان يسترد ملك ابيه ويثأر من بني اسد فخابت مساعيه ، وكانت نهايته حين رحل الى امبراطور بيزنطة ليستعين به على محاربة المنذر فلم يعنه ومات في تلك الرحلة .

ومها يكن من شيء ، فان اماره كندة لم تبلغ من المجد والسلطان

(١) المختصر في اخبار البشر ٧١/١

واسباب الحضارة والرخاء ، ما بلغت امارة المناذرة في العراق ، ولا امارة الفساسنة في الشام ، وكان عهدها قصيرا ، ونفوذها مقتصرا على عرب البادية ، على حين كانت الامارتان الاخريان تتمتعان بسلاطانهما على سكنة الحواضر والى وادي على حد سواء .

هذه هي الصورة العامة للحياة القبلية والحضرية في القرن السادس ، وهي صورة عرفت بعلاقات سكان الجزيرة وارتباطاتهم ونظمهم وطبيعة الحكم عندهم ، ونظرتهم القبلية التي حددت صلاتهم بالدول الاجنبية . وهذا هو الجانب السياسي من هذه الحياة فما نصيب المنطقة من الحيوانات الاخرى الاجتماعية والفكرية والدينية ؟ ذلك ما أحاول أن أبينه فيما يلي من فصول .



الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية

(١)

العرب في الجزيرة العربية قسماً : أهل وبر وبادية ، وأهل مدر وحاضرة ، فالمناطق التي يجودها المطر ، وتكثر فيها المياه والآبار ، تكون مناطق زرع ورعي واستقرار ، ثم تقوم فيها الابنية ويكثر العمران وتنشأ فيها أسباب الحضارة ، وتنشط التجارة والأسواق ، وسكان هذه المناطق هم أهل المدن التي كانت حول الجزيرة ، في الحجاز واليمن والعراق والشام ، وقليل ما تكون في قلب الجزيرة ، لأنها صحراوية او جبلية مجدبة الحياة فيها قاسية ، فلا تتفق والحياة المستقرة ، فيحتاج لذلك سكانها الى الرحلة والنقلة ، طلباً لمساقط الغيث ومنابت الكلاء . واذا قلنا الرحلة ، فلا نعني بها التجوال المستمر الذي لا قرار فيه في ارض معروفة ، او بقعة معينة ، بل لكل قبيلة منازل في الصيف ، ومنازل في الشتاء معلومة مبيّنة . ومع كل ذلك ، فان هذا التقسيم الاجتماعي بين البدو والحضر ، لا يفهم منه انقطاع البادية عن الحاضرة او انعزالها ، فاذا صحح ان بعض القبائل المتبدية كانت منقطعة متوحشة ، لاهم لها الا الغزو وانتجاع الكلاء ،

فان كثرة القبائل كانت على صلة دائمة بالمدن ، تتزود منها وتتأثر بها ، وان حياة المدن نفسها كانت حياة قبلية ، فثا يثرب الا مستقر لقبيلتي الاوس والخزرج ، والطائف كانت مصطاف بني عامر ثم مستقر ثقيف ، ومكة مدينة قريش . والواضح من هذا - في أن البادية لم تكن بمعزل عن الحاضرة - ان القبيلة الواحدة قد يكون لها حاضرة وبادية في آن واحد : فقريش لها حاضرة ولها بادية ، جاء في اللسان : (قريش الاباطح اشرف واكرم من قريش الظواهر ، لان البطحاويين من قريش حاضرة ، وهم قطان الحرم ، والظواهر اعراب بادية ، وضاحية كل بلد ناحيتها البارزة) .^(١) و قبيلة مزينة كانت موزعة بين الجبال والقرى ، فقسم منها سكن جبل ورقان^(٢) ، وقسم آخر نزل في جبلي القدسين وقسم ثالث في جبلي نبهان وبقيتها استوطنت في قرية الفرع ، وهي قرية كبيرة غناء كما يصفها عرام السلمي^(٣) . وكذلك الامر في جهينة فقد كان منها من سكن الوبر في نواحي جبلي رضوى وعزور ، وسكن قسم آخر قرية ينبع ذات المزارع وعيون المياه الغزيرة ، وسكن قسم ثالث من هذه القبيلة قرية الصفراء التي تكثر فيها المزارع والنخيل وعيون المياه ، وموقعها فوق ينبع مما يلي المدينة^(٤) . والامثلة على هذا كثيرة .

تلك القبائل التي سكنت البوادي او التي سكنت الحواضر ، لم

(١) اللسان مادة (ضحا)

(٢) اسماء جبال تهامة وسكانها - عرام بن الاصمغ السلمي من ١٦ تحقيق

عبد السلام هارون ١٣٧٣ هـ .

(٣) اسماء جبال تهامة وسكانها من ١٨-١٩

(٤) المصدر السابق من ٨

تكن طبقة واحدة متساوية وانما هي ثلاث طوائف اجتماعية : أبناء القبيلة ، ومواليها ، وعبيدها .

(أ) فأبناء القبيلة الخالص الذين ينتمون اليها بالدم ، هم عماد القبيلة وقوامها وعليهم واجب حمايتها والدفاع عنها والعصية لها .

(ب) ثم الموالى الذين هم ادنى منزلة من أبناء القبيلة ، وهؤلاء اما ان يكونوا : موالى بالجواري او الحلف ، وهو ان يحتسى بعض الافراد بقبيلة اخرى غير قبيلتهم ، فتتعد بحمايتهم ، او يحتسى بفرد من أبناء القبيلة فيكون مولاه ويعيش في ظل القبيلة ولكل منهما ان يرث صاحبة اذا مات قبله ، وحقوق المولى - على كل حال - لا تبلغ حقوق الاصيل ، فلا يستطيع المولى ان يجير على القبيلة كما يجير ابنها عليها ، وسرعان ما تنعقد بين المولى وجاره رابطة قوية ، فالحامي يحافظ على عهده وجواره ، ويحرص على الوفاء له ، فإنه كان من اقبح العيوب عندهم نقض العهد والقدرة ، وهم يحقرون من يقعد عن نصرة جاره أو يفدر به ، حتى انهم كانوا يرفعون بذلك لواء في الاسواق تمييزا وتشهيرا ، قال الحاددة (قطبة بن أوس) يخاطب امرأة :^(١)

أسمى ويحك هل سمعت بقدرة

رفع اللواء لنا بها في جمع

أو يكون المولى من الخلاء الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جنائياتهم ، فيستجير أحدهم بقبيلة اخرى فتجيره ، ويكون كأحد أبنائها له ما لهم .

(١) الفضليات ص ٥٦ وحاشية البعري ص ٢١٦ ط ليدن أو ١٤٩ ط لويس .

شيخو .

وعليه ما عليهم ، ومن هؤلاء الخلفاء طائفة الصعاليك ، كالشنفري
وتأبط شرا وعروة بن الورد وغيرهم . على أن الخلع لم يكن هيناً
ميسوراً ، وما كان يحدث إلا في حالات نادرة معدودة ، فالفرد
عزيز على قبيلته وهو حريص عليها حرصه على حياته .

ومن الموالي أيضاً العبيد المعتقون ، فهم في حماية القبيلة وتكون
العلاقة بين المعتق والعتيق ولا ، فلا ينسى العتيق فضل سيده
وحسن صنيعه .

(ج) وطائفة ثالثة في القبيلة هي : العبيد ، وكانوا عادة من اسرى
الحروب أو ممن يجلب من الأثمة الأخرى ، كالأحابيش (الرقيق
الأسود) المحلوب من الحبشة وما حولها^(١) وكان هؤلاء العبيد أقل
مكانة من الموالي ، ويقومون بالأعمال الشاقة المرهقة^(٢) ، وكانت
حالتهم بائسة مزرية ، ولا سيما الذين كانوا في ملك الناس قساة القلوب
غلاط الأكباد ، وقد كان في مكة كثير من العبيد ، وكانت قريش
تستخدمهم في حراسة قوافلها التجارية وفي الحروب ، يدل على ذلك
اشترائك وحشي وغيره في يوم أحد ، وقول كعب بن مالك في مقتل
حزرة بن عبد المطلب :

فلاقاه عبد بني نوفل يربس كالجمل الأدعج
وقوله أيضاً يصف جيش قريش يوم أحد وفيهم العبيد :^(٣)
فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع

(١) المهجر - محمد بن حبيب ص ٣٠٦-٣٠٨ . وقد ذكر أبناء الحبشيات في الجزيرة .

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي ص ٥١ - ٥٢ .

(٣) الحيرة النبوية ١٣٦/٢ - ١٣٨ ، والأمازي ٢٨/١٥ ط سابي .

ويجمع أبناء القبيلة هؤلاء - الخالص منهم والموالي والعبيد - ولا ،
وعصبية ، وتضامن ، أحكم عراة حرصهم على شرف القبيلة ومجدها ،
فالاخلاص للقبيلة رباط وثيق بين الجميع ، وعليهم ان يضحوا بكل
شيء في سبيلها ، وان الفردية التي عرف بها العربي لتفنى وتذوب في
القبيلة ، وهو يرى ان خير القبيلة خير له ، وعليه ان يتحمل اوزارها ،
وينعم بنعيمها ، ويهب لنصرتها حين يدعوه الداعي ، وهو مع قبيلته
على كل حال ، سواء عليه أكانت قبيلته تلك غاوية ام راشدة ،
ومصدق ذلك قول دريد بن الصمة :^(١)

وهل أنا الا من غزية ان غوت

غويت وان ترشد غزية أرشد

ولم يكن امر القبيلة فوضى - كما قد يبدو - بل كانت لها اصول
مرعية في داخلها ، تنظم علاقة الافراد بعضهم ببعض ، كما ان لها
نظامها الخارجي الذي يحدد صلاتها بالقبائل الاخرى ، وهناك روابط
عامة ومثل عليا يلتقى عندها العرب جميعا ، لانهم يرون فيها بغيتهم
التي تكسبهم العزة والرفعة والمجد والذكر الحميد ، وتلك المثل جماعها
المروءة والخلال الطيبة ، مثل : الكرم والامانة والوفاء وحماية الجار
والعلم وسمة الصدر والاعراض عن شتم اللئيم والنجدة والقوة والصبر
عند البلاء .

وأبرز خصلة يمتاز بها العربي ويتميز بها عن غيره هي الكرم

(١) الاصمعيات ص ١١٢ ط دار المعارف . وشرح الرزوقي على الحاشية ٨١٥/٢

ط هارون . غزية : من قبائل بني جشم

والسماحة والبذل ، ومهما قيل عن أسباب الكرم ودوافعه عند العرب ، من قسوة الحياة ، وجذب الصحراء ، والمحل وانتشار الفقر ، ونفاد الزاد ، فإن الكرم في العرب سجية متأصلة في نفوسهم ، فهم يلقون الضيف بالبشر والترحاب ويبدلون له أجود ما لديهم من طعام وخير طعامهم لحم الشياه والابل^(١) ، ولم يكن كرمهم خاصا ضيق الحدود ، بل كانوا يكرمون الغريب والبعيد ، من يعرفونه ومن لا يعرفونه ، حتى عدوهم اذا نزل فيهم استبشروا بمقدمه واكرموا وفادته ، كانوا يكرمون سراة الناس ووجوههم ، كما يكرمون فقراءهم من اليتامى والارامل والبائسين والمزمين ، بل كان فخرهم باطعام الفقراء اشد من غيره ، لم يشذ احد منهم عن ذلك غني او فقير ، وما قولك بقوم يغيرون على أموال الاغنياء فيقسمونها بين الفقراء ، ويتساوى في طبيعة الكرم هذه السادة والعبيد والخلعاء والصماليك ، فهذا عروة بن الورد الفارس الصملوك^(٢) كان يجمع الى خيمته فقراء قبيلته عبس والمعوذين منهم والمرضى ، يتخذ لهم حظائر يأوون اليها ويفيض عليهم مما ينفم^(٣) . ويكفي هذا الصملوك شرفا ان تتحنى ملوك المسلمين الانتساب اليه ، نقل عن عبد الملك بن مروان انه قال : « ما كنت احب ان أحدا ، ولدني من العرب الا عروة بن الورد لقوله :

أتهزا مني أن سمئت وان ترى

يحسمي مس الحق والحق جاهد

(١) للتوسع والاستقصاء راجع كتاب الدكتور الحوفي (الحياة العربية في الشعر الجاهلي فضل الكرم من ٣٠٨ - ٣٢١)

(٢) انظر اخلاق الصماليك ومذهبهم وكرمهم في الحياة العربية من ٢٩٩ - ٣٠٦ وكذلك كتاب الصماليك في الشعر الجاهلي ليوسف خليل .

(٣) الاغانى ٧٨/٣ ط الدار

لأني امرؤ عافي انائي شـركة
وانت امرؤ عافي انائك واحد
اقسم جسـمي في جسـوم كثيرة
وأحسـو قراح الماء والماء بارد^(١)

وكانت العرب لا تترك وسيلة لهداية الضيفان اليها الا فعلتها ،
فهم يوقدون النار ليلا ليهتدي بضوئها من يراها ، وكان بعضهم يوقد
النار بحطب طيب الرائحة ليهتدي بهذه الرائحة من فقد نعمة البصر^(٢) ،
وهذا ضرب من الأريحية تنقطع دونه أعناق اللثام . وقد عرف من
أجواد العرب خلق كثير حتى ضربت بهم الامثال ، وما زال الناس
يتمثلون بكرم حاتم وغيره ، من أجواد العرب ، وكانوا يتمدحون
بالكرم ، وم يروونه فرضا واجبا وقت الضيق والبرد والشدة والقحط ،
فكانوا ينحرون ويطعمون حين تهب الصبا ، وقد خصوا الصبا لأنها
لا تهب إلا في البرد والجذب ، وعرف أولئك بمطاعم الريح ومنهم
الشاعر لبـيد بن ربيعة الذي نسبت اليه هذه الرياح فأمر الكوفة
- الوليد بن عقبة - يمدحه بقوله :^(٣)

أرى الجزار يشجذ شـفرتيه إذا هبت رياح أبي عقيل

(١) المقد الفريد ١/١٩١ . وانظر ديوان عروة من ١٣٨ - ١٤١ ط الجزائر
١٩٢٦ الناق : طالب المعروف . انائك واحد : اي تأكل وحدك . القراح : الخالس
الذي لا يخالظه لبن ولا غيره .

(٢) بلوغ الأرب ٧/١ - وانظرة الحياة العربية من ٣١٥ - ٣١٦ حيث يرفض
الدكتور الحقوقي هذا الرأي ويرى ان ابتداء النار بالنار من القرف واطهار المقبرة
والتباهي بالثراء ورغبة ان يشموا رائحة الطيبة .

(٣) طبقات الشعراء - ابن سلام من ١١٤ والشعر والشعراء من ١٥٠ ، وكذلك
الافاني ١٤/٩٤ - ٩٥ .

ولم يكن لبيد وحده يفعل ذلك ، بل فعل ذلك أبوه (ربيع
المقترين) قبله ، ومثله في هذا كنانة بن عبد اليل^(١) . وكذلك فعلت
قريش^(٢) وفعل قريش هذا له دلالة . فهي في مجتمع حضري تسيطر
عليه روح التجارة ، ومع ذلك لم يكن الكرم مقتصرًا على البادية
أو محدوداً بحدودها وبظروفها ، وأخبار الكرم والكرما في الجاهلية
والاسلام أوسع من ان تحيط بها هذه الالمامة^(٣) .

وكانت طبيعة الحياة العربية تتطلب القوة والشجاعة والاقدام
وركوب المخاطر والتجمل للمكاراة والخطوب ، وقد دعاهم الى ذلك
طبيعة الحياة المضطربة القائمة على الغزو والغارة والعداء فهم في حرب
مضطرمة الأوار لا تكاد تحبو حتى يشب خسرامها ، وما اسرع
ما تستعر الحروب لأمور ذات خطر أو ليست بذات خطر ، ودواعي
الحرب كثيرة عندهم فقد يتنافسون على شرف ورياسة ، أو يتنازعون
على ماء أو مرعى ، أو تكون طلبا لثأر قديم أو غارة أو مفاخرة
ومنافرة ، كانت تشتد الحرب بسبب من هذه الأسباب أو غيرها ،
وان احدهم ليهب لنصرة قومه اذا سمع الصارخة ، وهو يعلم السبب
أو لا يعلمه ، وقد صور هذه الحال خير تصوير قريط بن انيف :^(٤)

قوم اذا الشر ابدي ناجذيه لهم

طاروا اليه ذرافات ووحدانا

(١) ذكرم الميداني في المثل (اقرب من مطاعيم الربيع) جمع الامثال ١٢٧/٢

(٢) الخبر - محمد بن حبيب ص ٢٤١

(٣) ينظر تفصيل ذلك في كتاب الدكتور الحوفي (الحياة العربية في الشعر الجاهلي)

ص ٣٠٨ - ٣٢١ ط الرسالة .

(٤) شرح الحماسة العرذوقي ١/٢٧ - ٢٨ الناجد : ضررس الحيلم ، مثل

لاشدهاد الشر .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في النائبات على ما قال برهانا

ويعرّز هذه الحال ما روى عن عبد الملك بن مروان ، أنه سأل ابن مستطاع العنبري : « أخبرني عن مالك بن مسمع ، قال : لو غضب مالك لغضب معه مائة الف سيف ، لا يسألونه في أي شيء غضب »^(١) لقد كان الغزو ديدنهم والغارة معاشهم ، فكانوا يغيرون على الأعداء وعلى الأباعد ، فان لم يجدوا ذلك لا يترددون في ان يميلوا رؤوس الخيل نحو أقربائهم وذوي الأرحام منهم ، وقد عبر الشاعر القطامي (عمير بن شيم) عن هذا بقوله :^(٢)

وكنّ إذا اغرن على جناب وأعوذهن تهب حيث كنا

اغرن من الضباب على حلول وضبة انه من حان حانا^(٣)

وأحياننا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

ولا بد في هذا المجتمع الحربي من القوة لأنها السبيل الوحيد للحياة الكريمة ، وهم يحتقرون الضعف - احتقارهم الجبن - لأنه مظهر الذلة والهوان ، وقد ملئ شعرهم بذكر الشجاعة والبطش والقوة ، وإكرام الموت عندهم في ساحات القتال وهم يقتنون الميتة حتف الأنف في غير ميادين القتال ، هذا الخطيئة يحتقر هذه الميتة بقوله :^(٤)

وشر المنايا هالك وسط أهله

كهلك الفتاة أيقظ الحي حاضره

(١) المقدم القريب ١٠٥/١

(٢) شرح الحماسة للبربري ٨١/١ . وشرح الحماسة للبرزوقي ٣٤٨/١

(٣) الضباب : تشمل ضبة وضبيب . وحمل وحسيل والحلول . الحلات النازلة

خولهم وفيهم .

(٤) ديوان الخطيئة ص ٤٥

وقد جاء أدبهم معبرا بصدق عن حياتهم الحربية، فوصفوا الحرب وهولها وإبطلها وصراعاها وأدوات القتال فيها، من قنا وصوارم ودروع وسهام وقسي^(١).

وهذه الحروب المستمرة المهلكة لا بد أن تنكشف عن صرعى من كلا الجانبين المتقاتلين، ودم القتل لا يذهب هدرًا، بل لا بد من الثأر الذي به وحده تطفأ غلة الموتور ولا يغسل الدم إلا الدم، فأما الدية فكانوا يرونها ذلاً ومهانة لا يرضى بها إلا الدليل وقد كان من حرصهم على أخذ ثأر القتل أن توهموا حواء الأساطير، وذلك ما عرف عندهم بالصدى والهامة، يقول الشاعر^(٢):

يا عمرو الاتدع شتمي ومنقصني

اضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وقد «بلغ من كلفهم بالثأر أنهم كانوا يتجانفون النساء والخمر والطيب لأنها ضرب من التنعيم والبهجة لا يليق بحزين موتور، أو لأنها قد تلهي وتشغل عن الجد في الثأر»^(٣) ولا شك أن الثأر شر كله. فأكثر الحروب، وجل أيام العرب، قامت على الثأر أو بسببه وقد تنتهي الحرب ويتبدل الزمان، ويتغير الناس، ينسون كل شيء، إلا الثأر فإنه يغلي في الصدور (وتبقى حزازات النفوس كما هي) وإن جريرة الثأر لا تقتصر على القاتل نفسه بل تصيب أبناءه، وأخوته، وأسرته، وكل فرد في قبيلته.

(١) راجع الحياة العربية - فصل الحرب - ص ٢٣٠-٢٧٦

(٢) أمالي القالي ١٢٩/١

(٣) الحياة العربية في الشعر الجاهلي ص ٢٠٦

وإذا كان هذا مذهب العرب في الثأر والغلو بسفك الدماء ،
فإنهم لم يعدوا من كان يدعو إلى السلم ، ويحث على حقن الدماء .
وتحمل الديات ، كما فعل هرم بن سنان والعمارة بن عوف حين
اصلحا بين عبس وذبيان ، وتحملا ديات القتلى^(١) ، وكما صنع زهير بن
أبي سلمى حين ندد بالحرب وكرهها إلى الناس ، وحجب اليهم السلم
والمودة والصفح والتسامح وقد خصص جزاء غير يسير من مملته
لذلك ، وكما فعلت بهيسة بنت أوس الطائي حينما تزوجها العمارة
ابن عوف ، ورفضت أن يقربها حتى يصلح بين عبس وذبيان ، واحتمل
الديات مع هرم بن سنان^(٢) .

وكان العرب يحرصون على المشلل العالية والخصال النبيلة ،
ويفخرون بأدائها والوفاء بحقها ، ومن تلك الخصال حفظ الجوار
والوفاء بالعهد فهم يحرصون على جازم حرصهم على شرفهم ، سئل
اعرابي عن مبلغ حفاظ قومة فقال : « يدفع الرجل منا عن استجار
به من غير قومه كدفاعه عن نفسه »^(٣) .

ويتمدح قيس بن عاصم بقومه فيقول :^(٤)

لا يفطنون لعيب جارهم وهم حفظ جواره فطن
وقد فطنوا لخصال الخير فدكروها في فخر بها ، معتزين بنسبتها
اليهم ، كالنجدة وحماية الضعيف ، والعفو عند المقدرة والحلم والتسامح ،

(١) الشعر والشعراء ص ٦١ ط أوربا

(٢) المرأة في الشعر الجاهلي ص ٦٣

(٣) النقد النريد ١٠٥/١

(٤) شرح الخجاسة للرزوقي ١٠٨٤/٤ ط هارون واجد أمين ١٣٧٢/١٩٥٣

وكانوا مع ذلك يأبون الضيم ويأنفون من الذل والهوان ، ولو ركبوا
في سبيل ذلك الخطأ ، وليس يبعد ما ذكر عن عمرو بن كلثوم أنه
أطاح برأس الملك أنفة من أن تذلل أمه^(١) . وقد علمتهم بيئتهم القاسية
الصبر والجلد واحتمال المصائب ومضاء العزائم .

تلك الخصال كانت إذا لم يشتطوا فيها ، خصال خير وشرف ،
على أن هناك آفات ينخر منها جسم المجتمع العربي ، ومنها الخمر
والميسر .

كانت الخمر عندهم من أهم متع الحياة ، وقل أن تجد شاعراً في
الجاهلية لا يذكر الخمر فهي مظهر من مظاهر الفتوة والشباب والقوة ،
يقول حسان بن ثابت :^(٢)

ونشربها فتر كنا ملوكاً وأسدا ما ينهيننا اللقياء
كانوا يشربون الخمر لأنها تهز الأريحية ، وتبعث على الكرم ،
يقول عمرو بن كلثوم :^(٣)

تري المجر الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينا
وقد عني العرب بالخمر ومجالسها ، فوصفوها مدققين بوصفها ، وذكر
أنواعها وكؤوسها وندمانها ، وكانت مجالس الخمر تستكمل بالغناء ،
حيث تغنى القيان أو ترقص في هذه المجالس ، وذكروا أن عبد الله
ابن جدهان كانت له قيتتان عرفتا بالجرادتين ، كانتا تغنيان في مجالس

(١) الاغانى ٥٢/١١ ط الدار - والشعر والشعراء ص ١١٨-١١٩

(٢) ديوان حسان ص ١

(٣) شرح المقاتل للتبريزي ص ١٠٩ ط لایل ، البحر : التبخل أو السيم الخفي .

أمرت : أديرت .

شربه وقد وهبها لأمية بن أبي الصلت حيث كان قد مدحه^(١). وكان من العرب من يدمن شربها ، فتعبث بعقله وسلوكه ، حتى تضيق به قبيلته فتخلعه متبرئة من جرائره ، مثل ما برئت كنانة من البراض ابن قيس ، إذ كان سكيراً فاسقاً^(٢). وكذلك كان طرفة حيث يشير الى ان قبيلته قد تحامته ، وافردته كما يفرد البعير الأجرب ، لاسرافه في الخمر والمجون ؛^(٣)

وما زال شرابي الخمر ولذني

وبيعي وانفاقي طريقي ومتلدي

الى ان تحامتنى العشيرة كلها

وافردت افراد البعير المغبد

على ان من عقلاء العرب في الجاهلية من اعرض عن الخمر وترفع عن شربها ، لما تفعله في الانسان من ذهاب العقل والحلم والوقار ، وما تجلبه من مهانة وطيش وسفه ، ومن اولئك الذين هجروا الخمر العباس بن مرداس ، وقيس بن عاصم ، وكثير من الصحابة كعثمان ابن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف وأبي بكر ، وعثمان بن مظعون ، وغيرهم ، وقد روي عن أم المؤمنين عائشة انها قالت : « ما شرب ابو بكر رحمة الله عليه خمرأ في جاهلية ولا اسلام »^(٤) ، وقد قيل للعباس ابن مرداس في جاهليته : « لم لا تشرب الخمر فانها تزيد في جراتك »

(١) الاغانى ٣٢٧/٨ ط الدار

(٢) الاغانى ٧٥/١٩ ط ساني

(٣) شرح المثلثات للتبريزي من ٤٢

(٤) كتاب الاشرية - ابن قتيبة من ٢٤ ط دمشق ١٣٦٦/١٩٤٧ تحقيق

عبد كرد علي ،

فقال : ما أنا بأخذ جهلي بيدي فأدخله في جوفي ، وأصبح سيد قومي وأمسى سفيهم^(١) ، وقد ذكر أبو الفرج :^(٢) انه ما مات أحد من كبراء قریش في الجاهلية إلا ترك الخمر استحياء مما بها من الدنس . اما نساؤهم ، فلم يعرف ان امرأة منهم شربت الخمر في جاهلية ولا اسلام^(٣) .

وإذا ذكرت الخمر فيذكر معها القمار والميسر ، وقد تمدحوا بالميسر لانه وسيلة من وسائل الانفاق والكرم واطعام الفقراء ، وأكثر ما يفخرون به عند البرد والقحط . فقد كانوا يعطون الفقراء وذوي الحاجة نصيبهم من الجزور حين يربحون ، وكانوا يرون ان من كمال الفتوة والكرم ان يقامر المرء ، ويذمون من لا يدخل معهم في الميسر ويسمونهم (البرم) يريدون به البخيل عديم المروءة . قال لبيد يمدح قومه بلعب القمار :^(٤)

وبيض على النيران في كل شتوةٍ

سراة العشاء يزجرون المسابلا

كان فتیان الجاهلية يفخرون بانهم يتماطون الخمر والميسر ، ويتمتعون بالنساء ، وتكاد تكون هذه الامور الثلاثة من مظاهر الفتوة عند بعض شبانهم ، وقد جمعها المنخل الشكري في قصيدته الرائية التي أولها :^(٥)

إن كنت عاذلتی فسیري نحو العراق ولا تحوري

(١) كتاب الاثرية ص ٢٥

(٢) الاغانى ٣٣٢/٨

(٣) كتاب الاثرية ص ٣٠

(٤) الديوان ص ٢٤٩ - سراة العشاء : وقت الضيف . المسابل : القداح .

(٥) نرح الحماسة المروزي ٥٢٦/٢ - ٥٢٩ ط هارون

وتتمثل خلال الفتى من هؤلاء في شخص طرفه الذي قرن بين
الخمر والفروسية والتمتع بالنساء. ولولا هذه الحصال الثلاث لما حفل
متى قام عنه العائدون :^(١)

فلولا ثلاثُ هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عودي^(٢)

فهن سبق العاذلات بشربة
كفيت متى ما تُعل بالماء تزد
وكرى اذا نادى المضافُ محنياً
كسيد الغضا نيهته المتورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهيكة تحت الطراف المعمد

لقد كانت متع الجاهلية متلازمة يكمل بعضها بعضاً ، وقد كان
من أسباب نكوص الاعشى عن الاسلام ، أن أبا سفيان تصدى له
وهو في طريقه الى المدينة ليسلم - وقد أعد قصيدة في مديح رسول
الله صلى الله عليه وسلم - فقال له : ان محمداً يحرم الخمر والزنا والقمار
فصرفه عن الاسلام^(٣) .

لقد صر بنا أن المرأة كانت من متع الشباب في الجاهلية ،
والمرأة هنا هي القينة والجارية ، اما الحرة فقد كان لها منزلة رفيعة

(١) شرح القصائد المشر - التبريزي ص ٤٣ - ط لايل
(٢) المود : من يحضره عند المرض . المضاف : الذي نزلت به الهوم . المحنّب :
فرس بعيد ما بين الرجلين . السيد : الذئب . المتورد : الذي ورد الماء . البهيكة : المرأة
التامة الخلق .

(٣) السيرة النبوية ٣٨٦/١ وما بعدها ، الاغانى ١٢٦/٩ ط الدار

في نفوسهم ، فقد كانت تشارك الرجل في كثير من الاعمال تربي الاولاد ، وتخرج الى القتال تضمام الجرحى وتغزل وتنسج ، ومنهن من تعترف بتجميل النساء او إرضاع الاطفال وتوليد النساء او تقويم الرماح ، ومنهن من تنسج الشياح وتصلح الخيام وتطهي الطعام وتعمل في الحقل كما يعمل الرجل ، ومنهن من ترعى الماشية وتطلي الابل الجرب وتجنى الكمأة وتحلب اللبن ، الى غير ذلك من الاعمال والصناعات^(١) ومنهن الشريقات الموسرات اللواتي تخدمهن الجوارى فتكفين هذه الاعمال ، وكان الكثير منهن سافرات يقابلن الضيفان ويجلسن اليهم في حشمة ووقار ، وكان لبعض النساء من بنات الاشراف حق في اختيار ازواجهن ، على نحو ما عرف عن هند بنت عتبة حين استشيرت في خاطبها ابي سفيان^(٢) . واذا حدثت الحرب فانها تخرج - في بعض الاحايين - الى ميادين القتال ، لتشير هم الرجال ، وتحرضهم على الاستماتة وتنشدهم الاناشيد الحاسية وتبني لهم النبال وتضمام الجرحى وتسقي الماء . وكانت سببا في اثارة كثير من المعارك ، فتدفع الرجل الى طلب الثأر وتعيم القاعدين عن ذلك ، قالت ام عمرو بنت وقدان تعرض قومها على الثأر لاختها :^(٣)

فان اذتم لم تطلبسوا بأخيكم

فذرروا السلاح ووحشوا بالابرق

(١) انظر (صناعات المرأة) في الحياة العربية للدكتور الحوفي ص ٣١٦-٣٣٩ الطبعة الاولى .

(٢) امالي الثاني ١/ ١٩٨

(٣) شرح الحماسة للدرزوقي ١٥١٦/٣ وحشوا : اطلبوا صيد الوحش . الابرق مكان فيه حجارة سود ويبيض . الحماسة : الثياب المصبوغة بالبياض وهو الزعفران ثوب النساء : الزهر .

وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا

نقب النساء فبئس رهط المرهق

وقد نزلت المرأة من نفس العربي منزلة رفيعة، فهي الام والاخت
والبنت والحبيبة ، وقد عني الشعراء بها عناية كبيرة فهي مصدر
الهامهم ، يذكرها تنشيط القرائح وتهيج العواطف وتهتز النفوس ،
وهم يفتتحون القصائد بمخاطبتها ومناجاتها ، ويقفون على ديارها وقفة
شوق وذكري ، ويشونها اشواقهم واحاسيسهم ، ويذكر الشعراء
المرأة على انها الحريصة على البيت الحافظة للمال التي تلوم على
الاسراف والتبذير ، يقول حاتم :^(١)

أماوى ان المال غاد ورائح

ويبقى من المال الاحاديث والذكر

أماوى انى لا اقول لسائل

اذا جاء يوماً حل في مالنا نذر

ومهما يكن من شيء فان مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي - وفي
غير الجاهلي - دون مكانة الرجل بكثير ، والعرب تحب الذكور
لانهم جنود القبيلة ورجالها الحماة ، اما المرأة فلا تغنى في الحرب شيئاً ،
بل تكون عبئاً على القبيلة لانها مقصد الاعداء يريدونها سبية ، وسبى
المرأة عندهم عار لا يسكت عنه ، ولا يقعد دونه ، الا الوغد الذليل ،
وليس ادل على بغضهم للاناث من قول الله تعالى يصف حالهم : «واذا
بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم

(١) ديوان حاتم الطائي ص ٣٩ ط لندن ١٨٧٢

من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الاساء ما يحكمون»^(١) وقد كان منهم من يتخلص من الاناث بوأدهن - كما تشير الآية الكريمة - خوف الفقر أو خوف العار ، وقد نهى الاسلام عن هذه العادة البغيضة وندبها عليها فقال تعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم وإن قتلهم كان خطأ كبيرا »^(٢) على ان حوادث الوأد كانت قليلة ومحصورة في قبائل من الاعراب الجفاة ، من مثل اسد وتميم ولم تكن عامة في القبائل^(٣) وكان من العرب من ينكر هذه الفعلة ، ويبذل المال ليفتدي المؤؤدات ، كما كان يفعل صعصعة بن ناجية ، قال الفرزدق يفتخر بفعل جده :^(٤)

ومنا الذي منع الوائدا ت وأحيا الوئيد فلم تؤاد

تلك حال المرأة الحرة ، اما الامة فهي دون الحرة منزلة ، واكثر الاماء^(٥) من السبي او الرقيق ، ومنهن القيان والجواري اللواتي يكثرن في حوانيت الخمارين ، وكن متعة السكارى والفساق من اصحاب اللهو والمجون .

وقد جاء الاسلام فأكرم المرأة - امة وحرة - فدعا الى العناية بها والعطف عليها فحرم ان تعضل أو تمنع من الزواج بعد وفاة زوجها ،

(١) سورة النحل ٥٨-٥٩

(٢) الاسراء ٣٦

(٣) المرأة في الشعر الجاهلي من ٣٩٢-٣٠٤

(٤) الكامل - المبرد ٢٧٢ ط لا يترك ١٨٦٤ ، وديوان الفرزدق ٢٠٣/١

ط الصاوي ١٣٥٤/١٩٣٦

(٥) يفرق الدكتور الخوارق بين النبايا والاماء (فالسبايا عريبات يؤخذن غمرا في حرب أو غارة وتمتهن الدم ، اما الاماء فغير عريبات يشتريهن بالمال للخدمة والتسري) المرأة في الشعر الجاهلي من ٣٨٩ ط اولي .

كما حرّم أنواعا شائعة من الزواج ، كانت عند الجاهليين ، منها نكاح المقت^(١) ونكاح الشغار^(٢) والجمع بين الاختين وإن كانوا يكرهونه وينهى بعضهم عنه^(٣) كما نهى الإسلام عنه^(٤) .

وعلى كل حال فإن مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي - على ما فيها من الهنات والمساوى - مكانة كريمة ، والمرأة نفسها عرفت بالعبقة والادب والحرص على شرفها وكرامتها ، وهذا أمر طبيعي في مجتمع يتبوأ فيه العرض والشرف المكانة العليا ، ويحرص العربي فيه على عرضه حرصه على الحياة .

(٣)

أما مكاسبهم وحياتهم المعيشية ، فلم يكن حظ العرب من الرزق يختلف عن حظوظ الأمم الأخرى من اختلافهم في الموارد والمكاسب ، فساكن المدن العامة في اليمن ومكة ويثرب والحيرة غير ساكن البادية المougلين في الصحراء ، وساكن المدن أنفسهم يختلفون في مستوياتهم المعيشية ، فمنهم التاجر الثري ، ومنهم العبد الرقيق ، ومنهم المسكين الضعيف ، وآخرون بين هؤلاء ، وهؤلاء ، وفي البادية أغنياء موسرون ، وفقراء مرملون ، وكذلك حياة الناس منذ كانوا حتى

(١) وهو أن يخلف على المرأة الابن الأكبر لزوجها - الاغاثي ١/٩ . وكان الجاهليون أنفسهم يتكبرون هذا الضرب من النكاح ، وكانوا يسبون الولد منه (مقتى) او (مقتى) وقد حرموا ضروباً أخرى من الزواج على أنفسهم . وقد اقر الإسلام هذا التحريم الصريح - محمد بن حبيب ص ٣٢٥

(٢) ان يتكح الرجل وليته رجلا ، ويتكح هو وليه ذلك الرجل بلا مهر . لسان العرب وتاج المروس . ونهاية الارب ٢/٢٤٥

(٣) الملل والنحل - الشهرستاني ٣/٣١٧

(٤) سورة النساء ٢٣

اليوم . والذي يلاحظ ان الاحوال المعيشية في البادية قبيل الاسلام وaban ظهوره ، كانت تنحدر من الرخاء الى الشدة والعسر ، وآية ذلك ان الحاجة والعوز وسوء الحال ، دفعت بعض الاعراب ان يتظاهروا بالدخول في الاسلام لارغبة في الايمان بل طمعا في العطاء ، كما توضح الرواية التي تقول : « ان نفرا من بني أسد ثم من بني الحلاف ابن الحارث ، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المدينة في سنة جدبة ، فظهروا شهادة ان لا اله الا الله ، ولم يكونوا مؤمنين في السر ، وأفسدوا طريق المدينة بالعدرات وأغلوا الاسعار ، وكانوا يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون : انتك العرب بأنفسها على ظهور رواحها وجثناك بالاثقال والعيال - يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم - ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان ... ويريدون الصدقة ويقولون : اعطنا ، فأنزل الله سبحانه فيهم : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ... الآيات »^(١) وقد بين القرآن الكريم التباين في الحياة المعيشية حين ندد بالذين يتعاطون الربا ، والذين يخشون الكيل والميزان والذين يأكلون أموال الناس بالباطل ، وبخاصة في مجتمع مكة .

وقد قسم بعض المؤرخين المسلمين العرب الى مراتب : فهم ملوك وغير ملوك ، وهؤلاء اهل مدر واهل وبر واهل المدر قسيمان : زراع وتجار . اما الصناع ، فكانوا قلة ليس لها اثر واضح ، قال : « واما سائر عرب الجاهلية بعد الملوك فكانوا طبقتين : اهل وبر وأهل مدر ،

(١) نهاية الارب ٣١/٨ وسورة الحجرات ١٤

فاما أهل المدر فهم الحواضر وسكان القرى وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والماشية والضرب في الأرض للتجارة، واما أهل الوبر، فهم قطان الصحارى، وكانوا يعيشون من البان الابل ولحومها منتجين منابت السكلا^١ ومرتادين لمواقع القطر، فيخيمون هنالك ما ساعدتهم الخصب وامكنهم السرى، ثم يتوجهون لطلب العشب وابتناء المياه، فلا يزالون في حل وترحال»^(١)

ان الحياة في الجزيرة العربية موقوفة على الامطار وما تدره عليهم السحب في مواسم معينة، وهي قليلة على أي حال، ولذلك لم يتيسر للبادية أن تقوم فيها زراعة منتظمة بل نشطت الزراعة في المناطق التي تتوفر فيها المياه من العيون والآبار والامطار، فعرفت الزراعة في الجنوب والشرق ومدن وقرى الحجاز، مثل الطائف ويثرب وخيبر ووادي القرى. وقد صور القرآن الكريم حياة عمود الزراعة المستقرة في غابر الزمان، قال تعالى: «أنتزكون في ما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم، وتنتحون من الجبال بيوتا فارحين»^(٢) كما وصف المؤرخون المدن والقرى الزراعية التي كانت قبيل الاسلام، منها القرى المشهورة التي مر ذكرها، ومنها الواحات والقرى المنبثة في أنحاء من الجزيرة، وفي كتاب (أسماء جبال تهامة وسكانها) وصف لكثير من هذه القرى، قال المؤلف يصف قرية الصفراء: «قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون

(١) مختصر الاول - ابن العبري ص ١٥٨-١٥٩ وكذلك طبقات الامم - صاعد

الاندلسي ٦٦-٦٥

(٢) الشعراء الآيات ١٤٦-١٤٩

كلها ، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وماؤها يجري الى ينبع ^(١) . وقال
 في وصف قرية السوارقية انها قرية « غناء كثيرة الاهل » وذكر
 حاصلات بني سليم : « فيها مزارع ونخيل كثيرة وفواكه ، من
 موز وتين ورمان وعنب وسفرجل وخوخ » ثم بين ما عندهم من ابل
 وخيل وشاء كثير ^(٢) ، وكذلك الامر في قرى كثيرة كالفرع ^(٣)
 وخيف سلام ^(٤) وغير ذلك ، وعلى كل حال فان الزراعة حرفة الحضر
 في المدين والقرى وما حولها . أما أبناء البادية فكانوا ينظرون الى
 الزراعة على انها عمل أهل الذلة والهوان ، فهم ينالون أرزاقهم بأطراف
 القنا والسيوف ، يسعى للحرب منهم شباب مرد على خيل جرد ،
 وقد صور الأعشى هذه النزعة حين عيّر أباداً بالزراعة فقال : ^(٥)

لنا كن جعلت أباد دارها تكرت تنظر حبها أن يحصدا
 قوما يعالج قلا أبناءهم وسلاسل أجدا وبابا موصدا
 ونظرتهم المترفعة هذه عن العمل الزراعي ، جعلتهم قوما متكئين
 على الغيث ، متبعين لمواقعه ، فتى اهتزت بقاع الارض وربت وعوا
 أنعامهم في زرعها ، وشربوا من ريعها ، حتى إذا انسوا مراعي آخر
 تبعوها وسعوا اليها ، فهي قوام حياتهم - بعد الغزو - وحياة أنعامهم
 وسواء عليهم أكانت تلك المراعي في أرضهم وحياهم ، أم كانت

(١) اسماء جبال تهامة وسكانها - عرام بن الاصبغ السلمي ص ٥ - تحقيق
 عبدالسلام هارون ١٣٧٣ هـ .

(٢) اسماء جبال تهامة ص ٦٥

(٣) المصدر السابق ص ١٩

(٤) نفس المصدر ص ٣٥

(٥) ديوان الأعشى ص ٢٣١ ط محمد حسين . اجدا : موقفة .

في أرض غيرهم ، ومثلهم في ذلك قول القائل ^(١) .

إذا سقط السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضاها
ولذلك نجحت الحروب ، وكثرت المعارك ، بسبب المراعي
والمياه .

وقبل أن أذكر التجارة عمل العرب الكبير ، أود أن أنتهي من
ذكر الصناعة ، لأنها ضيقة النطاق ، ومحصورة في الحواضر والمدن ،
وقليلا في البادية . إن البادية كانت تنظر إلى الصناعة - نظرتها إلى
الزراعة - نظرة زراعية واحتقار ، إن نفوسهم لتأبى الامتهان بها ، وكما
غير الأعشى إذا بذراعتها ، فقد عيّر عمرو بن كلثوم النعمان بن المنذر
- وهو على ملك الحيرة - بأن أمه من أسرة تمتهن الصياغة ، قال عمرو : ^(٢)

لحا الله ادنانا إلى اللؤم زلفة والامنا خلا واعجزنا إبا
واجدرنا أن ينفخ الكبير خاله يصوغ القروط والشنوف يثيرا

وقد كان جرير - فيما بعد - يلح على الفرزدق بتذكيره أن أحد
أجداده كان قينا ^(٣) . هذه عقلية البادية أما الحاضرة فنظرتها إلى
الصناعة أهون من ذلك وإن كان الإشراف يترفعون في جاهليتهم
عن الصناعة . وكان اليمينيون أعرق في الصناعة وأكثر خبرة ودراية
من المضربين ، فأهل اليمن صناع مهرة ، ومن الصناعات التي أجادها
اليمينيون صنع الأسلحة من سيوف ورماح ودروع ، وقد شهرت

(١) الروض الأنف ١٧٤/٢ ، والشاعر هو معاوية بن مالك ممدود الحسكاه
عم ليبد .

(٢) نهاية الأرب ٨٢/١

(٣) النقا من ٤١٣ ط ليدن

بنسبتها الى صانعيها ، او الى أما كن صنعها ، فقالوا : السيوف
اليانية ، والرماح الردينية ، والقنا السمهرية .

وفي الشمال كانت بعض الصناعات ، كنسج الثياب ، وعمل
الزود والسروج والصياغة ، وخاصة في مكة والمدينة .

اما البناء ، فما كان متقدما بشكل ملحوظ ، وكانوا يستعينون
بعمال من الفرس والروم في تشييد ابنتهم المهمة ، كتجديد الكعبة
او توسيعها ، ويقال ان معاوية بن ابي سفيان لما اراد ان يبني دوره
التي يقال لها (الرقط) في مكة ، حمل لها بنائين من فرس العراق
فكانوا يبنيونها بالجص والاجر^(١) ، وكذلك بنيت القصور في الحيرة
كالخوردنق والسدير .

اما التجارة فكانت المهنة المربحة التي عرفها العرب وبرعوا فيها ،
وهي مهنة الحضرة المتعلمين ، ولم تكن ظروف البادية ولا طباع اهلها
تعين على ان يبرعوا فيها ، ولكن بعضهم كان يعمل دايلا يرشد القافلة
ان تضل في مجاهل الصحرا^(٢) ، او خفيرا حاميا يمنعها من النهب
والفارة^(٣) . وقد نشطت التجارة اول الامر في اليمن فامتدت تجارتهم
بين الهند شرقا الى افريقية غربا ، والى بلاد الشام والروم شمالا ،
حتى اذا ما نهدت السيول سد مأرب وساءت حركة السوق
واضطربت الاحوال السياسية ، كسدت التجارة وانتقل النشاط
التجاري الى ايدي القرشيين في مكة ، فكانت قوافلهم تجوب

(١) الاثاني ٢٨١/٣ ط الدار

(٢) المحبر ص ١٨٩ . والمغازي - الواقدي ص ٨٦ ط كلكتا .

(٣) المحبر ص ٢٦٤ ورسائل الجاحظ ص ٦٥ ط بولاق

الصحراء شمالا وجنوبا ، حيث رحلتا الشتاء والصيف الى اليمن شتاء
والى الشام صيفا ، والى ذلك تشير الآية الكريمة : « لا يلاف قريش
ايلافهم رحلة الشتاء والصيف »^(١) . وكذلك تسير تجارتهم الى الحبشة
غربا والى الحيرة وبلاد فارس شرقا ، وان فريقا من تجار قريش بلغوا
بتجارتهم اقاصي بلاد العرب والعجم ، فيها ثم متجره الشام ، وعبد شمس
متجره الحبشة ، وعبد المطلب الى اليمن ، ونوفل نحو العراق^(٢) .

ولا شك ان هذه الرحلات كانت تحيط بها المصاعب والمخاطر ،
ولا تنتهي الى غاياتها الا بشق الانفس ، وذلك لبعده الشقة ، ووعورة
الطريق ومجاهل الصحراء ، وغارات اللصوص من ذؤبان العرب
وصعاليكها ، وبخاصة من ذؤبان فهم وهذيل .

وقد كانت القوافل من الكثرة والضخامة بمكان حيث بلغت
احداها خمسمائة ولف بعير^(٣) كما بلغت احدى قوافل قريش الفين
وخمسمائة بعير ومائة رجل - على ما ذكر الطبري^(٤) - ولاهمية هذه
القوافل ، وكثرة حمولتها ودوابها ، فقد كانوا يؤمنون الطريق ،
فيرسلون الرواد والمستطلعين قبل الرحيل ، حتى يتعرفوا اخبار
الطريق ، كما حدث في غزوة بدر ، فقد علم اولئك الرواد أن
المسلمين يتربصون بقافلة قريش فأسرعوا الى مكة واستنقروا أهلها^(٥) .
وكانت هذه القوافل تحمل الطيب والبخور ، واللبان ، والجلود

(١) قريش ١-٢

(٢) المحبر ١٦٢ ، والسيرة ٤٧/١

(٣) المنازي ص ٢٠

(٤) الطبري ٢٦١/٢ ط الحسينية

(٥) السيرة ٢٦٠/٢

والشباب الهندية ، وتوابل الهند ، كل هذه البضائع من اليمن والهند
 وافريقية الشرقية ، وتأتي من الصين الجلود والمعادن والحديد^(١) ، ومن
 الحبشة الرقيق والصمغ والعاج ، ومن العراق وفارس التمر والشعير^(٢) .
 ويحملون من الطائف الزبيب ، ومن مناجم بني سليم الذهب ، يحملون
 كل ذلك الى بلاد الشام ، ويعودون حاملين الاسلحة والقمح والزيت
 والخمر والشباب القطنية والكتانية والحريية وغيرها^(٣) .

وكانت قوافل قریش تحمل الفضة (او القزدير) حيث استولى
 المسلمون في غزوة بدر الموعد (سنة اربع للهجرة) على قافلة لقریش
 فيها اموال ابي سفيان بن حرب ، ففخر بذلك حسان بن ثابت وعير
 قریشا الهزيمة ، فلما كان يوم احد ، رد ابو سفيان بن الحارث على
 حسان بقصيدة منها هذا البيت :

حسبتم جلاد القوم عند قبابهم
 كماخذكم بالعين ابطال آتكم

فقال ابو سفيان بن حرب يعاتب ابا سفيان بن الحارث : « يا ابن
 اخي لم جعلتها آتكم ، ان كانت لفضة بيضاء جيدة »^(٤) من كل ذلك
 نعرف ان قوافل قریش كانت تحمل الغنى والثراء والمال النفيس .
 وقد استطاعت قریش^(٥) ان تجعل من مكة مركزا تجاريا مهما ،

(١) حضارة العرب - جوستاف لوبون ص ١٠٦

(٢) السكامل - ابن الاثير ٢/٢٢٨ ط ليدن

(٣) دائرة المعارف الاسلامية (مكة)

(٤) طبقات الشعراء ص ٢٠٨ - الانك : القزدير

(٥) لقد برعت قریش في التجارة وحدثت شئونها فسميت بهذا الاسم من بقرش
 المال قيل : (سميت بذلك لانهم كانوا اهل تجارة ولم يكونوا اهل زرع وذرع ، من
 قولهم فلان يقرش المال ، اي يجمعه) لسان العرب (قرش) .

تكدست فيه الاموال وكثرت فيه الثروة ، وذلك لما كانت تتمتع به من مكانة دينية مقدسة ، لانها صاحبة البيت وسادنة الكعبة ، وأرضها حرام وحرمة آمن ، لا يحل فيه قتال ولا غزو^(١) . وقد عقدت مع كل ذلك محالفات مع القبائل المجاورة ، ولم يكن بينها وبين غيرها ثارات وأحقاد ، وما كانت تسمح لشعرائها أن يتعرضوا بالهجاء لغيرهم ، بل هي تضرب على أيدي شعرائها الهجائين من مثل عبد الله بن الزبيري ، وتنكر أن يهجو بعضها بعضا^(٢) ، ولم تعرف مكة بكثرة الخصومات والحروب ، فابن سلام يفسر قلة شعر المكيين في أنهم : (لم يكن بينهم نائرة ولم يحاربوا)^(٣) ، اللهم إلا أن تدفع الى القتال دفعا كما حصل في حروب الفجار ، وقد استطاعت قريش أن تنشر الأمن والسلام في أرضها ، بحلف عقده وأسمته (حلف الفضول) ، كل ذلك هيأ لها الجو الطيب كي تنشط تجارتها فترتاد الصحاري والبادي في أمن وطمانية ، وهذا من فضل الله على أهل بيته ، فقد قال سبحانه : « فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف »^(٤) . قال الزمخشري في تفسيره لسورة قريش : « وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن ، وفي الصيف الى الشام ، فيمتارون ويتجرون ، وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاية بيته ، فلا يتعرض لهم ، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم » قال تعالى : « أولم نمكن لهم حرما آمنا يجنبى اليه ثرات كل شيء رزقا

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٨/١ ط اوربا

(٢) السيرة ٤١٨/٢

(٣) طبقات الشعراء ص ٢١٧

(٤) قريش ٣-٤

من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون»^(١)

وكان للأسواق الأثر الكبير في رواج التجارة وتبادل السلع ، وأهم الأسواق كانت تقام على مقربة من مكة ، كعكاظ ومجنة وذى الحجاز ، والعرب تسعى الى هذه الأسواق من كل حذب وصوب ، ليشهدوا منافع لهم ، ويتناشدوا الأشعار ، ويذيعوا الخطب ، ويتحاكموا في خصوماتهم ، ويتفادوا الأسرى ، ويعقدوا الصلح ، أو يتفاخروا بالأحساب والمحامد والانتجاد .

ولم تكن هذه الأسواق محصورة في منطقة واحدة ، بل كانت تقام في قلب الجزيرة حيناً وفي أطرافها في حين آخر ، وفي أوقات معينة معلومة ، ومن أسواقهم المهمة : سوق دومة الجندل في شمالي نجد ، وسوق خيبر ، وسوق الحيرة ، وسوق الحجر باليامة ، وسوق صحار ودبا بعمان ، وسوق المشقر بهجر ، وسوق الشجر ، وسوق حضر موت ، وسوق صنعا ، وعدن ، ونجران ، وغير ذلك من الأسواق الكثيرة^(٢) . وقد كان لهذه الأسواق الأثر الكبير في تنشيط حركة التجارة وازدهارها ، كما كان لها الفضل في توافق العادات وحل المشاكل وامتزاج ثقافات امم مختلفة ، وقد ساعد كل ذلك على الرقي العقلي والحضاري .

(٤)

رأينا فيما مرّ بأن الحواضر كانت تعنى بالزراعة والصناعة والتجارة ، أما البوادي فما كان بمقدورها ذلك بل انصرفوا لاكتساب

(١) تفسير الكشاف ٤٨٧/٢ ط بولاق ج ٨١٢٨١ سورة القصص ٥٧

(٢) الاثنتا والأمكنة - الباب الأربعون من ١٦١-١٧٠ وانظر الحبر من ٢٦٣

العيش من غير هذه الموارد - مرت جملة منها في سياق البحث - ونذكر هنا عنايتهم بالانعام مصدر الكسب والحياة ، وأهم حيوان البادية وأكثره نفعا وأشدّه احتيالا لقسوة الصحراء ، الابل . كانت الابل عماد الحياة عند العرب ، يأكلون من لحومها ، ويشربون من لبنها ، ويكتسبون من أوبارها ، ويصنعون بيوتهم منها ، وعليها يحملون أثقالهم ويرحلون ، قال الله سبحانه في ذكر الانعام وما جعل فيها من منافع لعباده : « والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم »^(١) وقال سبحانه : « والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً الى حين »^(٢) . وقد أفاد العربي من الابل كل فائدة فلم يترك منها شيئاً إلا وجعل لنفسه فيه النفع فقد صنع من جلدها الأخفاف والقرب والسيور والأنساع ، واتخذ من عظامها ألواحاً يكتب عليها ومن بعرها وقوداً يصطلي بناره وينضج به طعامه ، وإذا اشتد المحمل ونزل الجذب فكان يصنع من وبرها ودمها بعض الأطعمة مثل (العلهن)^(٣) . والابل عند العرب خير المال ، بها يقومون البضائع ويثمنونها ، وبها يتقايضون ويفتدون الأسرى ويدون القتلى ويدفعون المهور للزواج ، ويدفعونها عطايا حين تهتز أريحياتهم . وكما أفاد العرب من الابل هذه الفوائد الكثيرة

(١) سورة النحل ٧-٥

(٢) سورة النحل ٨٠

(٣) كتاب الاثرية - ابن قتيبة ص ٢٢

فكذلك عنوا بها عناية فائقة ، كانوا يطلبون لها أجود المراعي ، ويتخيرون مواطن الدف لتوليدها ، واهتموا بأسمائها وصفاتها ، وحر كاتها ، فوضعوا لكل عضو من أعضائها اسما بل اسما ، وكثر ذكرها في أساليبهم ، ودارت حولها تشبيهااتهم واستعاراتهم وضربوا بها الأمثال ، ونظموا فيها القصائد ، وخطبوها وتاجوها وبشوها . اشجائهم وعواطفهم كما يثبت الخل^٢ الحبيب .

كذلك عنوا بالحيل ، لأنها من مظاهر العز والمنعة ، فهي عدتهم عند الغارة ، ومكسبهم في الغزو والحرب ، وكانوا يرسلونها على الطريدة وفي السباق ، وقد اهتموا بأنسابها وأنسالها وسموها بأسماء اشتقوها من صفاتها أو ألوانها ومن شياتها ، مثل النعامة والحرون ، وقرزل ، والجون ، وداحس ، والغبراء ، وغير ذلك . وكانوا يقربونها إلى مساكنهم ويننون لها الحظائر ويفضلونها في الطعام . وإن اخدم ليجمع عياله ويؤثر فرسه بالطعام ، قال اخدم في فرسه (سكاب) :^(١)

ايبت اللعن ان سكاب علق نفيس لاتعار ولا تباع
مفداة مكرمة علينا يجاع لها العيال ولا تجاع

وللعرب مكسب اخر من طيب الرزق هو الصيد ، فهم يدرّبون الكلاب خاصة على اصطيد الفريسة ومطاردتها ، ويتقنصون الحمر الوحشية والبقر والوعول والماعز الجبلي والظباء ووحوش الصحراء الاخرى .

على ان الصيد كان مكسب الفقراء والضعفاء ، أما الفرسان .

(١) الصحاح (سكب) ١٤٨/١ ، بلوغ الأرب ٢/٨٩ .

وذوو الشرف ، فإ كانوا يرون الكسب الا في الغزو والفارة ، الذي
هو دأب ذوي البطولة والبرائة والشجاعة. ولذلك يهجو عمرو بن
معد يكرب بن زياد ، لانهم اهل قنص وصيد ، وليسوا اهل الحرب
والقتال : ^(١)

أبني زياد أنتم في قومكم
ذنب ونحن فروع اصل طيب
نصل الخميس الى الخميس وأنتم
بالقهر بين مربق ومكلب
حنيد عن المعروف سعى أبيهم
طلب الوعول بوفضة وبأكلب

تلك أهم الموارد والمكاسب التي كان عرب البادية يتعيشون بها ،
وهم لا شك متفاوتو الرزق ، منهم من يملك مئات من الابل والانعام ،
ومنهم المدم الذي لا يكاد يجد قوت يومه وبخاصة اذا قل الغيث
واحلت الارض واجدبت الديار ، على انهم كانوا يتقوتون بالقليل
من الزاد والبسيط من الطعام فغذاؤهم الشعير بعامة ، وقد يضاف اليه
التمر واللبن ، وقد يكون جمل هم الرجل منهم ان يقيم اوده
بالاسودين الماء والتمر : ^(٢) .

الاسودان أبر. عظامي الماء. والتمر دوا سقامي
ومن البدهي ان هذه الحياة القاسية من الشظف والحرمان ، قد

(١) الحيوان ٣/٢٠٩ - ٣١٠ الخيس : الجيش . المربق : الصائد بالريقة وهي
العروة في الجبل . المكاب : الصائد بالكلاب . الوفقة : جمعة للسهم من ادم

(٢) المستطرف - الابشبي ١/١٤١

اكتسبت العربي الصبر وقوة الاحتمال والزهد ، وقد اعتاد هذه الحياة الحشنة واصبح لا يرضى بها بديلا ، حتى انه حين جاء الاسلام وكثرت الفتوح ، واستوطن بعض الاعراب في المدن ، وتحسنت احوالهم المعيشية ، نجدهم يأسأمون حياة الحضارة ، ويميلونها ، ويشتاق بعضهم حياة الجوع والقسوة والحرمان في الصحراء ، قال قائلهم^(١)

اقول بالمضر لما سائني شبعي الاسبيل الى ارض بها جوع
الاسبيل الى ارض بها غرث جوع يصدع منه الرأس برقوع

وقد ظلوا أبدا يحنون الى البادية ، يحنون الى أهلها وهوائها ومياهها ورمالها وانعامها ، وبهم عيمة الى البان ابلها^(٢) . يروى ان النابغة الجعدي دخل يوما على الخليفة عثمان بن عفان ، فقال : « استودعك الله يا أمير المؤمنين » قال : واين تريد يا أبا ليلى ، قال : الحق بابلى فأشرب من البانها ، فاترى منكر لنفسي ، فقال عثمان : أتمر يا بعد الهجرة يا أبا ليلى ، اما علمت ان ذلك مكروه ، قال : ما علمته وما كنت لا اخرج حتى أعلمك^(٣) نعم كان النابغة منكرا لنفسه يدفعه الحنين الى البادية حنين الغريب الى وطنه ، وهو ما يعرف اليوم بداء الوطن .

(١) عيون الاخبار - ابن قتيبة ٢٢٢/٣ ط دار المكتب ١٣٤٨/١٩٣٠ بالاصل

(غرس) جوع برقوع : شديد

(٢) فتوح البلدان - البلاذري ص ٤٩١ ط أوروبا

(٣) طبقات الشعراء ص ١٠٦ - ١٠٧ والاغانى ١٠/٥ ط الدار

الفصل الرابع

الحياة العقلية

(١)

ان الصورة التي استقرت في كثير من الاذهان عن العصر الجاهلي ، فيها كثير من الضلال والخطأ والاجحاف بحق ذلك العصر ، فالذي يقرأ ما كتب ويكتب عن الجاهلية ، يخيل اليه ان الامة العربية كانت امة جهل وعمى ، قد عزلت عن العالم وعاشت غارقة في بحر من البداوة والفوضى والتوحش وليس لها ماض مجيد يشدها اليه ، ولا حاضر قويم يحيى فيها معاني المروءة والهداية^(١) . وقد كان لذلك دافعان : حب الاسلام والغيرة عليه أولا ، والشعوبية ثانيا .

لقد ذهبت طائفة من الكتاب المسلمين - بدافع من حرصها على الاسلام وغيرها عليه - تنسقط كل هنة ومثلبة في طباع الجاهليين وعوائدهم ، فتضخمها وتوسع خرقها ، حتى غدت الجاهلية عندهم حياة مظلمة سوداء لا خير فيها ولا نفع في اهلها ، ظننا منهم ان ذلك مما يرفع من قدر الاسلام ، والاسلام في غنى عن هذه المغالاة ، لانه لا شك في انه رفع العرب طبقات وبرأهم من الوثنية وكثير من

(١) ينظر فجر الاسلام (طبعة المقلية العربية) ٣٥ حتى ٥٨ .

الشرور . على ان العرب في الجاهلية كانوا مستعدين الى ان ينهض بهم الاسلام تلك النهضة العظيمة ، فقد كان منهم عقلا ، سارعوا الى الاسلام ، فكانوا حماة ، والامناء عليه ، وناشري الوبته في الخافقين ، وأولئك هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجنوده من أئمة المسلمين ، وقد كان في تلك البيئة من المثل العليا في المروءة والكرامة والشرف والحياء والغيرة والايثار والنجدة والوفاء ، ما اقرها الاسلام وشجع عليها ، وان الاسلام حين حَبَّ رذائل الجاهلية كان قد اقر فضائلها ، وبارك في كثير من عوائدها التي توافق الاسلام ولا تضاده . هذا هو الدافع الاول الذي نسب للجاهلية كل بدعة والصق بها كل منقصة .

أما الدافع الآخر فهو : الشعوبية السقي حمل الفرس رايتها ، ثاراً لماضيهم المهان وحمة لدينهم الذي عفى عليه الاسلام ، فافتنوا منذ غدروا بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب يكيّدون للعرب ويفترون على تاريخهم وماضيهم ، بل لم يسلم حتى الاسلام من بدعهم وضلالاتهم حيث ادخلوا فيه ما هو برى ، منه من مظاهر المجوسية ، وشعائر المانوية ، وشذوذ المزدكية . وكانت الجاهلية أقرب تلك السبل اليهم ، فنسبوا لأهلها كل ضلالة وجردوم من كل مكرومة ، ولاي عبيدة ، وعلائن الشعوبي ، وبشار ، في ذلك اليد الطولى ^(١) .

وما زال بعض الباحثين من شرقيين ومشرقيين يرددون تلك الأقوال السقيمة على الرغم من تعاقب الاعصار ، يقول خدا بخش

(١) ينظر العقد الفريد ٨٧/٢ - ٨٩

غامزاً شرف العرب :^(١)

« لقد كانت الناحية الخلقية عند الجاهليين في أشد أوقات جزرها قبيل الاسلام فلم يكن اخلاص الرجل لزوجته شديداً ، وكان يدعوها الى معاشرة غيره من الرجال » أما دينان فيجرد العرب من كل مكانة سياسية وثقافية ودينية^(٢) . ويقول آخر : « ان العصر الجاهلي عصر ظلام حالك »^(٣) الى غير ذلك مما يقال .

ولا أريد هنا أن أضفي على العرب أكثر مما لديهم ، وأصفهم بصفات ليست فيهم ، بل أريد أن اقول : إن العرب امة من الامم لها فضائلها ووراثتها ، مثلها لكال الامم والشعوب فضائل ووراثتها ، ولها كذلك نصيب من الحضارة والمعرفة في عهدها الفابر ، فقد ورثت الجزيرة تراثاً جليلاً خلفته الاجيال العربية ، حيث نجد المعالم الناطقة بالمجد العريق ، وبخاصة في القسم الجنوبي من بلاد اليمن السعيدة . فقد قامت دول معين وسبأ وحميز ، وفي الحجر حيث وجدت حيان وثود ، وفي بطرا ازدهرت دولة الأنباط . والقرآن الكريم - وكفى به شاهداً - يصف دولة سبأ وما كانت عليه من ترف ونعمة ، قال تعالى : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور »^(٤) .

وقد أشاد المعنيون بالحضارة الشرقية من الاوربيين ، فشهدوا

Khuda Bukhsh : Contributions to the History of Islam Civilization. V. I. P. 171. (١)

حضارة العرب - جوستاف لوبون ص ٩٧ (٢)

Mohammad Ali : Mohammad the Prophet. P. 6. (٣)

سبأ ١٥ - (٤)

بمراقبة تلك الحضارة وأثرها فيما حولها من الأمم ، يقول سايس « لم يكن المسلمون الذين انطلقوا في الجزيرة العربية ، وفتحوا العالم المسيحي ، وأسسوا الممالك ، إلا من نسل أولئك الذين كان لهم قديما أثر عميق في مصير الشرق »^(١) وكذلك يدهش هومل لما كان لعرب الجنوب من قلاع وحصون ونقوش ، وأثر حضارتهم في العبرانيين واليونان^(٢) .

وحال العرب في جاهليتهم الأولى - وحتى قبل الاسلام - تنقص الصورة الخاطئة التي جعلت المجتمع الجاهلي معزولا متأخراً ، لا يرتبط بأسباب الحضارة والعمران ، ولم يتأثر بالأمم المجاورة .

لقد كان العرب الجاهليون على صلة وثيقة بحضارة العالم القديم ، فضلاً عن حضارتهم العريقة ، وقد كانت الصلات قائمة بين العرب وغيرهم من فرس وروم وهنود ، وكان من مظاهر ذلك إمارة المناذرة في العراق والفساسنة في الشام ، اللتان أتاحتا لثقافة الفرس والروم أن تدخل الجزيرة وتمتزج بثقافة العرب ، وقد اتيح للعرب الكثير من الوسائل التي جعلتهم يفيدون من خبرات الأمم الاخرى وعلومهم ، فمن ذلك : الاسواق والمواسم التي كانت تقام في انحاء مختلفة من الجزيرة ، كانت الاسواق ملتقى العرب على اختلاف منازلهم وثقافتهم يقصدها التجار - من العرب والعجم - من تجار فارس ، والروم ، والهند ، والصين ، فيكون الاخذ والعطاء وتبادل المتاع ، ومن البدهي أن تلتقي الثقافات والعقول ، فيفيد بعض من بعض من الخبرة والصناعة والعلم ، وحتى العادات والتقاليد .

A. H. Sayce : Early Isreal. p. 128.

(١)

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢٧٧/٢ وما بعدها .

وقد ذكر محمد بن حبيب : ان كثيراً من تجار الامم المحيطة ببلاد العرب كانوا ينتقلون الى الجزيرة كما تفعل تجار فارس والروم حينما توافي بسوق المشقر ، يقطعون اليها البحر يبياعاتها^(١) .

وقال ابو علي المرزوقي : لا ثم يرتحلون منها (من صحار) الى دبا ، وكانت احدى فرض العرب يجتمع بها تجار الهند والسند والصين واهل المشرق والمغرب ، فيقوم سوقها آخر يوم من رجب فيشترون بها ببيع العرب^(٢) .

والعرب انفسهم كانوا يسافرون الى بلاد الروم والفرس والاحباش ، منهم التجار الذين يحملون بضائعهم الى اقاصى البلاد ، ومن اولئك تجار قریش كهاشم وكان متجراً الى الشام وقد مات بغزة ، وعبد شمس ومتجراً الى الحبشة ، وعبد المطلب ومتجراً الى اليمن ونوفل ومتجراً الى العراق ، وهؤلاء هم اصحاب الايلاف من قریش^(٣) .

وكان من العرب من يتمرض لمطاء الملوك ، كالشعراء ، ورؤساء القبائل ، وذوي الفصاحة المتصلين بالملوك المنادمين لهم ، وما ذكر النابغة وحسان في مجالس المناذرة والفساسنة بمنكر ، وقد عرفت منادمة الربيع بن زياد للنعمان بن المنذر ، وقصة وفد بني عامر وبلاء لبيد في مجلس النعمان^(٤) . وان صحت رواية وفود العرب على كسرى وخطبهم في ذلك فرحلتهم تشمل مجموعات كبيرة من العرب ، غير مقتصرة على الافراد . وكان من العرب من ساح في الارض طلباً

(١) الخبر من ٢٦٣ وما بعدها

(٢) الازمنة والامكنة ١٦٢/٢

(٣) الخبر ١٦٢ والسيرة ٤٧/١

(٤) الاغانى ٩١/١

للهداية والعلم ، مثل زيد بن عمرو بن نفيل ، الذي شك في الاوثان ورحل يطلب دين ابراهيم حتى بلغ الموصل وجال في الشام^(١) ، والحارث ابن كلدة الثقفي الذي تعلم الطب وضرب العود بفارس واليمن^(٢) ، وغير هؤلاء كثير .

وكان من اسباب التمازج الحضاري في المجتمع الجاهلي ايضا ، الجاليات الاجنبية التي كانت تفد الى الجزيرة فتمسكت فيها زمنا ، وقد يتخذ بعضها الجزيرة موطنها ومقاما ، وطبيعي ان هؤلاء من جنسيات واديان مختلفة ، وعقليات وثقافات متباينة ، فمنهم النصراني واليهودي ، والمجوسي ، ومنهم الرومي ، والحبشي ، والفارسي والهندي^(٣) . ومن هؤلاء من جاء مبشرا بدين كالنصارى الذين اقاموا البيع والصوامع والاديرة في المدن والقرى ، ومنهم من جاء طالبا الربح والتجارة ، او العمل والكسب ، او التجسس على العرب في ديارهم^(٤) . ولا شك ان كثيرا من هؤلاء كان مكسبه عن طريق نشر اللهو والمجون في الحانات ، حيث الخمر والغناء والرقص .

ومن تلك الصلات ، وذلك التمازج البشري بين العرب والاقوام الاخرى ، افاد العرب وكسبوا ثقافتين : الاولى ورثوها عن اسلافهم ، والثانية اقتبسوها من الامم المجاورة .

(١) السيرة ٢٦/١ والاغاني ٢٦/٣ ط الدار

(٢) طبقات الامم - ساعد الاندلسي ص ٢٤ ط السادة

(٣) دائرة المعارف الاسلامية (مكا) وفي المجلد من ٣٠٦ - ٣٠٨ ذكر لانباء الحبشيات . وفي اسد الغابة ذكر للروم والروميات انظر مثلا ٢١٢/١ ، ٢٣٢/١ ، ١٩٤/٥ .

(٤) Oleary : Arabia before Mohammad. p. 89. (٤)

وقد استطاع مؤلفو المسلمين ، على بعد الشقة ، ان يحفظوا
للمتأخرين جوانب من معارف الجاهلية وعلومهم ، كما حفظ الشعر
الكثير من تلك المعارف .

(٢)

لقد كان للعرب علم بالنجوم ومواقعها ومسالكها والوانها
ومطالعها وانوائها ، وعرفوا منها أوقات الخصب ، وأزمان المحل ،
ومهب الرياح ، وسقوط المطر ، واهتدوا بها في ظلمات الليل ، قال
الجاحظ : « وعرفوا الانواء ونجوم الاهتداء ، لان من كان بالصحاح
الاماليس - حيث لا اماراة ولا هادي مع حاجته الى بعد الشقة -
مضطر الى التماس ما ينجية ويؤديه ، ولحاجته الى الغيث ، وفراره من
الجدب ، وضنه بالحياة ، اضطرته الحاجة الى تعرف شأن الغيث ،
ولانه في كل حال يرى السماء وما يجري فيها من كوكب ، ويرى
التعاقب بينها ، والنجوم الثوابت فيها . وما يسير منها مجتمعا ، وما
يسير منها فاردا ، وما يكون منها راجعا ومستقيا » ^(١) .

وكذلك يقول صاعد الاندلسي : « كان للعرب معرفة بأوقات مطالع
النجوم ومغاربها ، وعلم بانواء الكواكب وأمطارها ، على حسب
ما أدر كوه بفرط العناية وطول التجربة ، لاحتياجهم الى معرفة ذلك
في أسباب المعيشة » ^(٢) . ويذكر ابن قتيبة : ان العرب أفادوا مما عند
الكلدانيين (الصابئة عبدة الكواكب) ، وبين أسماء البروج

(١) الحيوان ٣٠/٦

(٢) طبقات الامم ص ٤٥ بيروت

والكواكب في العربية والكلدانية شبه كبير فبرج الشور هو (ثورا) في الكلدانية والجدي (كديا) والمريخ (مرادخ) وهكذا، أما السرطان فتفسه في اللغتين^(١)، واشتهرت بعض القبائل بنجرتها الواسعة بمواقع النجوم وأوائها مثل قبيلة مُرّة، وبني حارثة بن كلب، وكثر ذكر الكواكب في الشعر، كالفرقدين والسماكين، وبنات نعل، والشمرى، والجوزاء، والعيوق، وغيرها. وكان نظرم دقيقاً ثاقباً في المطر والرياح ومهابها، والسحاب وأشكاله ومواسمه، واللغة العربية غنية بأسماء السحب وأنواع الرياح وضروب القطر، وقد افرد ابن قتيبة لذلك كتاباً (الأنواء)^(٢) - نقلنا عنه قبل قليل - كما ألف أبو زيد كتاب (المطر)^(٣)، وعقد الشعالبي فصلاً في كتابه (فقه اللغة)^(٤) أسماء (الآثار العلوية)، تحدث فيه عن الرياح والسحب والأمطار والرعود والهروق وما إلى ذلك. وقلنا نخلص من هذه الموضوعات كتاب من كتب اللغة.

وكان للعرب الملم بالطب والبيطرة، وهي جملة معارف وخبرات توارثها الناس خلفاً عن سلف، ومن الطبيعي ألا يكون طبهم قائماً على العلم المنظم الدقيق، بل هي معارف وملاحظات قد يصاحبها الخطأ في كثير من الأحيان، وقد تدخل الخرافة والرقى في بعض ما لا يعرفون يقول ابن خلدون في ذلك :

-
- (١) كتاب الأنواء في مواسم العرب في صفحات متعددة ط شارل بيلا ١٩٥٦/١٣٧٥
 (٢) المصدر السابق
 (٣) طبم الكتاب لويس شيخو سنة ١٩٠٨ ضمن البلغة في شذور اللغة
 (٤) فقه اللغة وسر العربية من ٤٠٣

« وللبادية من أهل العمران طب ينونونه في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص ، متوارثة عن مشايخ الحلي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض ، إلا أنه ليس على قانون طبيعى ، ولا على موافقة المزاج »^(١) . ومن تلك الخرافات التي أشرنا إليها ظنهم أن دم السادة يشفى من الكلب ، وأن عظام الميت تشفى من الجنون ، وقد استخدموا في طبهم الكي بالنار حتى قالوا (آخر الدواء الكي) والتداوي بشراب العسل ، وعصارات بعض النباتات البهية ، وغير ذلك . وقد عرف منهم بعض الأطباء الخاذقين ، كالحارث بن كلدة الشقي^(٢) (توفي ١٣ هـ) الذي تعلم الطب في بلاد فارس ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر من يمرض من أصحابه أن يأتيه ويستوصفه^(٣) ، وكذلك ابن حذيم التيمي الذي ضرب المثل في خبرته ومهارته بالطب ، فقالوا « أطب من ابن حذيم »^(٤) .

وكان لعناية العرب بالخيول والأبل أن برعوا في البيطرة ، فمروا عيوب الحيوان وعاهاته وأدوائه ، وقد هدتهم الحاجة ، ودقة الملاحظة أن عرفوا كل الأمراض والأعراض التي تصيب الحيوان ، فاتمسوا لكل داء دواء . وقد تحدث الجاحظ عن معرفة العرب بالبيطرة فقال : « كثيراً ما يبتلون بالثآليل والمخالب ، وباللدغ واللسع والعض والأكل ، فخرجت بهم الحاجة إلى تعرف حال الجاني والجرح والقاتل ، وحال المجنى عليه والمجروح والمقتول ، وكيف الطلب والهرب ، وكيف

(١) المقدمة من ٢١٤ ط مصر .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) طبقات الامم من ٧٤ والأخبار الطوال - الديهوري من ١٢٢ ط جوتنجن .

(٤) مجمع الأمثال ٥٢/٢ ط بولاق .

الداء والدواء ، لطول الحاجة ولطول وقوع البصر ، مع ما يتوارثون
من المعرفة بالداء والدواء «^(١) .

وكان للعرب خبرة واسعة بالخييل وبصر دقيق بشياتها وأوصافها ،
وما يستحب منها وما يذم فيها ، وقد عنوا بسلاطاتها وعرفوا أنسابها ،
وفرقوا بين العتيق منها والمهجن ، وعرف في ذلك سلمان بن ربيعة الباهلي
المعروف بسلمان الخيل ، وكان سلمان يميز العتيق من الخيل من هجيتها
بطول العنق ، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، شك في
العتاق والمهجن من الخيل « فدعا سلمان بطست من ماء ، فوضعت
بالارض ، ثم قدم الخيل فرساً فرساً ، فأتى منها سنبكة فشرب جعله
هجيناً ، وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقاً وذلك لأن في أعناق
المهجن قصرأ فهي لا تنال الماء على تلك الحال حتى تثنى سنبكها ،
وأعناق العتاق طوال »^(٢) . وكان الناس يعجبون بسلمان الباهلي ومن
المعجبين به لبيد الشاعر ، فقد ذكره في إحدى أراجيزه ، مبينا فضل
الله عليه بنعمة البصر بالخيال »^(٣) .

ومن معارف العرب التي هداكم اليها الذكاء ، وخصب القريحة ،
وصفاً الذهن : الفراسة والقيافة . فالفراسة : الاستدلال بمظهر
الانسان وشكله وسلامة أعضائه ، على أخلاقه وصفاته وطباعه .
والقيافة : تتبع الاثر في الارض لمعرفة آثار الانسان أو الحيوان ،
ولهم في ذلك حذق وبراعة ، فكانوا يعرفون أثر من ضل منهم أو من

(١) الحيوان ٢٩/٦ .

(٢) ديوان لبيد ص ٣٣٧ ط السكوت .

(٣) ديوان لبيد القصيدة ٨٠ .

حيوانهم ، أو طريق عدوهم حين يهرب منهم دالجا في الليل أو سائرا في النهار .

ومن معارفهم - التي يداخلها السطن والمصادفة - العيافة والزجر والطرق بالحصى ، وهي ضرب من التنبؤ - كالكهانة - بمعرفة حركات الطيور والتمسك بها أو التطير منها ، وقد اشتهر منهم بنو أسد وبنو لهب حتى قال قائلهم :^(١)

خير بنو لهب فلاتك ملغيا مقالة لهبي إذا الطير مرت
وقد أوضح الجاحظ جانباً من ذلك فقال : « وأصل التطير من الطير إذا مر بارحاً وسانحاً ، أو رآه يتفلى ويتنف ، حتى صاروا إذا عاينوا الأعور من الناس أو البهائم ، أو الإعضب أو الابرزجروا عند ذلك وتطيروا »^(٢) . وما كان كل العرب على هذه الشاكلة في زجر الطير وضرب الحصى ، بل كان منهم من ينكر ذلك ويتعقل مثل لبيد الذي يقول :^(٣)

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى

ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وكانت عنايتهم بالأنساب ومعرفة الأصول والأحساب ، قد فاقت كل معرفة ، حيث دعتهم العصبية الى أن يحفظوا بدقة كل ما يتعلق بأنسابهم وأيامهم وأخبارهم ، وقد رويت عن كثرة حفظهم وسعة معرفتهم أقاصيص تدعو الى العجب ، فهم يصلون أنسابهم بالأب

(١) شرح ابن عقيل ١٥٤/٢

(٢) الحيوان ٤٣٨/٣ وما بعدها . والبارح : اليامن والسانح : الميأسر .

(٣) ديوان لبيد ص ١٧٢

الأكبر عدنان أو قطان ، ويقسمون مراتب النسب الى : فصائل ، وأنفاذ ، وبطون ، وعماثر ، وقبائل ، وشعب . وقد عرف من مشهوري نسابهم : دغفل بن حنظلة الشيباني ، وزيد بن الكيس النمري وابن لسان الحمرة ، وغيرهم ، كما عرف أبو بكر الصديق بسعة علمه بالأنساب والأيام^(١) .

وكما حرصوا على معرفة أنسابهم وأصولهم ، الموا بأخبار أيامهم وتاريخ أسلافهم ، وما وقع لهم ولغيرهم من الامم القديمة ، وقد ظهرت تلك المعارف والأخبار في الشعر ، كقصة الفيل وحرب داحس والغبراء ، وحرب البسوس ، ويوم ذي قار ، وحروب الفجار ، وعرفوا سير الملوك في اليمن ، والحيرة ، والشام ، كما عرفوا أخبار الفرس وحروبهم وملوكهم ، وذلك بسبب اختلاطهم بتلك الامم عن طريق الأسواق والتجارة والرحلات . فقد عرف عن النضر بن الحارث انه كان يذهب الى الحيرة يتعلم من أهلها أخبار الفرس وأساطيرهم ، وسير ملوكهم وقوادهم ، مثل رستم واسفنديار وكسرى ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً في مكة - فدعا فيه الى الله تعالى . وتلا فيه القرآن ، وحذر قريشاً مما أصاب الامم الخالية ، خلفه النضر في مجلسه إذا قام ، فحدثهم عن رستم واسفنديار وملوك فارس ، ثم يقول : « والله ما محمد بأحسن حديثاً مني ، وما حديثه إلا أساطير الاولين اكتبها كما اكتبتها »^(٢)

على أن معرفة العرب بالأخبار والأحداث التاريخية لم تكن

(١) السيرة النبوية ١/١٦٥ ط عبد الحميد ١٣٨٣/١١٦٣ والبيان والتبيين ٤/٧١

ط لجنة التأليف والترجمة والنشر وانظر الاغانى ٤/١٣٨ والاستيعاب ١/٣٢١ .

(٢) السيرة ١/٣٥٨ ط شامي ورافقه .

معرفة دقيقة ، بل هي عرضة للتزيد والتحريف ، فان تلك الاخبار كانت متداولة بين الناس بالرواية الشفهية والرواية تقبل الخطأ والتحريف .

والعرب بعد ذلك حكم بالغة تمثل خبرتهم في الحياة وتجاربهم فيها ، وقد صاغوها بعبارات قصيرة مأثوسة ، كان الناس - وما زالوا - يتمثلون بها ، لأنها تفصح بصدق عن مكنونات النفس البشرية بعامة . وقد حفظت كتب الأمثال طائفة جليلة منها ، ولعل خير ما ألف من كتب الأمثال : كتاب العسكري (جهرة الأمثال) والميداني (مجمع الأمثال) والزمخشري (المستقصى في الأمثال) . هذا غير ما جاء عند الشعراء من حكم شاعت وصارت مما يستشهد بها الناس في كل زمان ، كحكم زهير ولييد وطرفة وعبيد بن الأبرص والأفوه الأودي وغيرهم . وقد ذكر الجاحظ جهوداً من حكماء العرب وذوي الدهاء ، واللسن ، فقال : « ومن القدماء ممن يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء ، والنكراء : نعمان بن عاذ ولقيم بن لقمان ، ومجاشع بن درام ... ولؤي بن غالب وقس بن ساعدة وقصي بن كلاب ومن الخطباء البلغاء ، والحكام الرؤساء : أكرم ابن صيني ، وربيع بن حذار ، وهرم بن قطبة وعامر بن الظرب ، ولييد بن ربيعة »^(١) وكانوا يكتبون تلك الحكم ويحفظونها كما فعل سويد بن الصامت الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده صحيفة فيها حكم لقمان ، وقال الرسول عليه السلام عما فيها : « ان هذا الكلام حسن والذي معي أفضل منه » قرآن أنزله الله تعالى علي

(١) البيان والتبيين ٣٦٥/١ ط عبدالسلام هارون .

وهو هدى ونور»^(١) .

وعلى كل حال ، لم تكن حكم العرب وأمثالهم نتيجة تفكير
فلسفي بعيد ، وإنما هي نظرات وخبرات ، صادرة عن طبيعة حياتهم ،
ومثلهم ، ونظرتهم الى الحياة والموت ، ومصير الناس ، والخير والشر
ومعاقبة الدهر ، وهي مع كل ذلك ، تصور صادق أمين لفطرتهم
السليمة ، ونفسياتهم الواضحة البسيطة التي لا يشوبها ولا يعيبها
تعقيد أو تخوض .

(١) سيرة ابن هشام : ٢ / ٢٩٠ ط عبد الحميد .

الفصل الخامس

الحياة الدينية

(١)

لقد عرف العهد الجاهلي بالعهد الوثني عهد الشرك وعبادة اصنام من دون الله . غير ان النظرة الفاحصة المخصصة ، تكشف ان وثنية ذلك العهد ، لم تكن - كما قد يظن - اعتقادا متينا بالاصنام ، فقد كان كثير منهم ، وبخاصة الاعراب ، يسخرون منها ويهزأون بها^(١) . ولم يكونوا يؤمنون بان هذه الاوثان والاصنام^(٢) خالقة مدبرة قادرة ، ولم يكن الشرك اشراكا في وحدانية الله ، فالدلائل تشير - ويكفي ان يكون القرآن قد نص على ذلك - الى ان عرب الجاهلية كانوا يؤمنون بالله الواحد القوي الخالق الذي بيده الامر ، وكان اتخذهم الاصنام على انها وسائط وشفاعات تقربهم الى الله سبحانه ، فالشرك هنا يلحظ من تقديس اصنام تنسب لها القدرة على الشفاعة لا الشرك في وحدانية الله . قال صاعد الاندلسي : « وجميع عبدة الاوثان من العرب موحدة الله تعالى . وانما كانت عبادتهم ضربا من التدين بدين

(١) الاصنام - ابن الكلبي ص ٣٧

(٢) يفرق بين الصنم والوثن في ان الاول يكون على هيئة تمثال . والوثن يكون حجرا وقد يسمى الصنم بالوثن ايضا انظر الاصنام ص ٣٣ و ٥٢ في تحديد كل منهما

الصابئة في تعظيم الكواكب والاصنام المثلة بها في الهياكل ، لا على ما يعتقده الجهال بديانات الامم و اراء الفرق ، من ان عبدة الاوثان ترى ان الاوثان هي الآلهة الخالقة للعالم ، ولم يعتد قط هذا الرأي صاحب فكرة ولا وادبه صاحب العقل ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى « ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى »^(١) وقال تعالى في صفة الجاهليين الذين يتقربون اليه باصنامهم : « ويمجدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »^(٢) وقد جاءت الآيات الكريمة لتدل على ايمانهم بالله الخالق القادر الواحد الذي بيده امر كل شيء . . قال تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله »^(٣) ، « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون »^(٤) « قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون »^(٥) .

وقد عبر أوس بن حجر في بيت عن اعتقاده بالله الذي هو اكبر من كل المعبودات ، مع اقراره باحترام اللات والعزى ، قال :^(٦)

وباللات والعزى ومن دان دينها

وبالله ان الله متهمن اكبر

(١) طهيات الامم - صاعد بن احمد الاندلسي ص ٢٤ وسورة الزمر ٣

(٢) سورة يونس ١٨

(٣) لقمان ٢٥

(٤) الزخرف ٨٧

(٥) يونس ٣١

(٦) الاصنام ص ٧ وانظر عن التوحيد في الشعر الجاهلي (الحياة العربية)

للدكتور الحوفي ص ٤٠٢ - ٤١٧

وهذا النابغة الذبياني يقسم بالله الذي ليس وراءه شيء ولا أكبر منه : (١)

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
ونجد في الشعر الجاهلي الدلائل الكثيرة الواضحة الصريحة التي
تؤكد إيمان الجاهليين بالله وتوحيده والقسم به ، وأنه خالق الخلق
وواهب النعم . يقول عبيد بن الأبرص : (٢)

حلفت بالله أن الله ذو نعم لمن يشاء وذو عفو وتصفاح
وقد آمنوا بأن الله هو الحافظ الذي يلوذ الناس برحمته ، قال
افنون التغلبي : (٣)

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي
إذا هو لم يجعل له الله واقيا
وان الله يحزي على العمل الصالح ، قال أبو قيس بن الأسلت : (٤)
أجرت مخلدا ودفعت عنه وعند الله صالح ما أتيت
ويقول زهير بن الله عالم الغيب ، ومطلع على الضمائر وأسرار
النفوس : (٥)

فمن مبلغ الأحلاف عني رسالة
وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

-
- (١) ديوان النابغة من ٥٦ ط السعادة . المقد الثمين من ٥
(٢) ديوان عبيد من ٢٤ ط ليال لقد ذهب بعض المستشرقين الى ان الرواة
المسلمين وضعوا لفظة الجلالة في شعر الجاهليين مكان كلمة (اللات) . وهذا فرض بعيد
فيه كثير من التعمد ينظر تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٣٠٥/٦
(٣) المفضليات ٥٢٣ ط ليال
(٤) الاغانى ١٤/٣ ط الدار
(٥) ديوان زهير من ١٨ ط الدار

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم
 ليخفي ومهما يكتم الله يعلم
 ويقسم آخر بالله عالم الاسرار ومحبي العظام البيض وهي رميم: ^(١)
 اما والذي لا يعلم السر غيره
 ويحيى العظام البيض وهي رميم
 لقد كنت اختار القرى طاوى الحشا
 محافظة من ان يقال لثيم
 وفي بيت حاتم السابق ايمان بالبعث والحساب فانه يحيى الخلق
 بعد موتهم وان كانوا عظاما، وقد اوضح لبيد بان للناس يوما يقفون
 فيه بين يدي الله، وتكشف اعمالهم، وتجزى كل نفس ما كسبت: ^(٢)
 وكل امرئ، يوما سيعلم سعيه
 اذا كشفت عند الاله المحاصل
 وكذلك يذكر علاف بن شهاب التيمي فكرة الحساب
 والشواب والعقاب يقول: ^(٣)
 ولقد شهدت الخصم يوم رفاة
 فاخذت منه خطاة المعتال
 وعلمت ان الله جاز عبده
 يوم الحساب باحسن الاعمال
 واذا كان هذا ايمان العرب بالله ووحدايته وقدرته فكيف

(١) شرح الجاسة للرزوقي ١٧١٥/٤

(٢) ديوان لبيد ص ٢٥٧

(٣) بلوغ الارب ٢/٢٧٧ ط ١٩٢٤ ٢ - ١٣٤٣

كانوا يوفقون بين هذا الايمان وبين تقديس اوثان واصنام ، واشراكها في العبادة والتقديس مع الله سبحانه ؟ ان للعرب في ذلك تعليقات لا يخلو بعضها من منطق مقبول ، فهم يقولون : « ليس لنا اهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة ، لعظمته فعبدناها (اي الاصنام) لتقربنا اليه تعالى »^(١) ومنهم من يقول : « جعلنا الاصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى ، كما ان الكعبة قبلة في عبادته »^(٢).

واذا ما عرفنا كيف بدأ تقديس الاصنام وعبادتها نستطيع ان نتبين الاسباب التي جعلت غمار الناس يتشبثون بها ويتعمدون عن دين التوحيد الاول دين الفطرة - دين ابيهم ابراهيم^(٣) . وكذلك نستطيع ان نعرف طبيعة تلك العقلية المحافظة المكابرة ، التي وقفت بعنف وشدة بوجه الدين الاسلامي في بيئته الاولى . قال هشام بن محمد الكلبي : « وكان الذي سلب بهم الى عبادة الاوثان والحجارة ، انه كان لا يظمن من مكة ظاعن الا لاحتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصباغة بمكة ، فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصباغة بالحرم ، وحباله ، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمررون على ارض ابراهيم واسماعيل عليها السلام »^(٤) وتمرور الزمان نسي الناس العلة في تقديس

(١) بلوغ الارب ١٩٧/٢ ط ٢

(٢) المصدر السابق ١٩٧/٢

(٣) ينظر هنا تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٢٠٧/٥ حيث يذكر رأي ربنان في أن العرب موحدون بطبيعتهم مثل سائر الداعيين .

(٤) الاصنام ص ٦ وهناك آراء اخرى منها قصة هرو بن لحي ، والذي أثبتناه هنا ، اقرب الى طبيعة العرب .

الحجارة، على أنها أثر من آثار الكعبة وذكرى لها ، فانتقل التقديس للحجر نفسه ، وتطور الحجر الى صنم ، ثم بدأت الظنون بعد ذلك في خير هذا الصنم وشره ، وكما امتد العهد واستطال الزمان ، احيطت هذه العبادة بهالة من الغموض المقدس . والناس - منذ كان الناس - تحن الى الموروث الذي تلفه الاسطورة ويكتنفه الغموض ، وقد استحسنت العادة في نفوسهم ، فصاروا يتمسكون بها وينزلونها منهم مكانة فضلى .

والملاحظ أن أهم بيئة رسخ فيها الدين ، وتمسك أهلها بالاصنام هي مكة ، قلعة الدين وجمع أصنام العرب ، بينما نجد أن المناطق الأخرى أقل حماسة لعبادة الأوثان ، وبخاصة البادية التي تنظر الى هذه العبادة نظرة غير جادة ، فكثيراً ما يشور الأعرابي على صنمه حينما تتضارب أهواء العابد والمعبود ، من ذلك ما يروى عن رجل من العرب - وتروى لامرئ القيس ايضاً - قُتل أبوه فأراد الطلب بثأره ، فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام ، فخرج السهم ينهيه عن ذلك فقال : ^(١)

لو كنت إذا الخلص الموتورا مثلي وكان شيخك المقبوراً
لم تنه عن قتل العداة زوراً

وأتى رجل من بني ملكان الى سعد - صخرة طويلة بأرضهم - بأبل معه يلتمس البركة ، فلما رأت الأبل ما على الصخرة من الدم

(١) الاصنام ص ٢٥ والسيرة ٩٦/١ وانظر حول ضعف الوثنية في أواخر العصر الجاهلي الحياة العربية ٣٧٧ وما بعدها وينظر هنا رأي نيكسون حول عدم مبالاة العربي بالدين .

المهراق ، نفرت وتفرقت في كل وجهة ، فأخذ حجراً رمى به سعداً
ثم أنشد :^(١)

أتينا الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتتوفة
من الأرض لا يدعى لغير ولا رشد
وقد جرت العادة ان يتبع الناس هذا الدين ، دون ان يجرأوا على
الشك بجدوى هذه العبادة .

(٢)

هذا شأن الكثرة من عرب الجاهلية ، وقد عرفت في ذلك العهد
فئة من المستبصرين الذين كانوا يترفعون عن عبادة تلك النصب
والتأثيل وكانوا يتطلعون الى دين التوحيد ، دين ابراهيم ، على أنه
الدين المبرأ من الشرك ، وقد عرفت تلك الفئة بـ (الأحناف) ودينهم
بـ (الحنيفية)^(٢) . وكانوا قد اعتزلوا الاوثان ، وعافوا الميتة والدم
والذبائح التي تذبح على النصب لغير الله ، وقال في ذلك قائل منهم :
« أنى لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل الا ما ذكر
اسم الله عليه »^(٣) ، كما سخطوا على الخمر وعافوا شربها ، وقد عاف

(١) الاضام من ٣٧ والسيرة ٨٥/٤ .

(٢) انظر في الحنيفية وأثرها في شعراء الجاهلية فوزي كريمة (حول اشعار ليلى)

Von Kremer: Ueber die Gedichte des Labyd. p. 8.

(٣) السيرة النبوية ٢٣٧/١

(٤) هو زيد بن عمرو بن نفيل . صحيح البخاري ٥٠/٥

الخمر ايضاً غير هؤلاء من عقلاء العرب ترفعوا عما يؤول أمر شاربها الى المهانة والسفه^(١) . وقد عرف من الاحناف رهط كبير . منهم : زيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وصرمة بن أبي أنس ، وامية بن أبي الصلت ، وخالد بن سنان العبسي ، وورقة بن نوفل ، وغيرهم^(٢) .

ولم تكن الحنيفية امتداداً أو تقليدياً لليهودية أو النصرانية ، بل لم يكن بين الديانتين والحنيفية صلة أو وشيجة ، وان اطلع بعض رجال الحنيفية على دين اليهود أو النصارى ، على النقيض مما يبالغ بعض الكتاب وبخاصة رجال الدين النصارى^(٣) ، وانما هم على دين العرب القديم دين ابراهيم ، وما كان ابراهيم من اليهود أو النصارى كما نص على ذلك كتاب الله العزيز : « ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً »^(٤) ، وكذلك لم يكن من المشركين : « إن ابراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين »^(٥) ، والحنيف هو المسلم (حنيفاً مسلماً) ، قال تعالى : « ثم اوحينا اليك

(١) مر بنا ذكر من طاف الحرة من الجاهليين في الحياة الاجتماعية .

(٢) المعارف - ابن قتيبة ص ٢٧-٢٩ ط الاسلامية وانظر حول الاحناف وافكارهم جواد علي - تاريخ العرب ٥/٥٦-٦٠ و ٦/٢٨٩-٢٩٥ .

(٣) لويس شيخو في شعراء النصرانية ، وقد حاول باطلا ان يقحم اكثر الشعراء الجاهليين ممن ذكروا الله في النصرانية . وينظر في هذا الموضوع رأي بلاشير في الاحناف وعلاقتهم بالمسيحية والماتوية تاريخ الادب العربي ١/٦٨ ترجمة ابراهيم كيلاني . وينظر كذلك رأي نيكلسون في الاحناف وعلاقتهم بالمسيحية .

Alit. Hist. of the Arabs. p. 149.

(٤) آل عمران ٦٧

(٥) النحل ١٢٠

ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً^(١) ، وجاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعثت بالحنيفية السمحة »^(٢) ، وكذلك قوله عليه السلام : « أحب الأديان عند الله الحنيفية السمحة »^(٣) ، وجاء ذكر الحنيفية في الشعر بنفس دلالة المسلم ، قال عبد الله بن أنيس :^(٤)
وقلت له خذها بضربة ماجدٍ حنيفٍ على دين النبي محمد
وكذلك في أبيات لأمامة المزيرية تقول :^(٥)

تكذب دين الله والمرء احداً

لعمر الذي امناك ان بشس ما يعني

حباك حنيف آخر الليل طعنة

ابا عفك خذها على كبر السن

وهكذا يتضح من هذه النصوص ان الاسلام والحنيفية على شريعة واحدة شرعة التوحيد والايان بالله الواحد الاحد ، وما الوثنية الا تشويه لدين ابراهيم وتحريف له وخروج عليه .

لقد كانت الوثنية ام الأديان التي عرفتھا الجزيرة ، واكثرھا شیوعا وانتشارا ، وقد شهدت الجزيرة اديانا اخرى غير الوثنية ، كاليهودية والنصرانية ، ولم يكن لاتباع هاتين الديانتين كبير اثر في الجاهليين ، اذ لم تستطع اية منهما ان تدحر الوثنية ، او ان توسع نفوذھا .

(١) النحل ١٢٣

(٢) طبقات ابن سعد ١٢٨/١ وكذلك ٢٨٧/٢

(٣) اللسان ٤٠٤/١٠ وانظر ابن سعد ٢٨٧/٣

(٤) السيرة ٥٨/٢ ودائرة المعارف الاسلامية (حنيف) .

(٥) السيرة ٩٨٢ ودائرة المعارف الاسلامية (حنيف) .

فأما اليهودية: فقد جاء اليهود الى الجزيرة بعد أن طردهم واضطهدهم قياصرة الروم فالتجأ كثير منهم الى الحجاز واليمن^(١). وقد استطاع اليهود في اليمن منذ عصر متقدم ان يهودوا احد ملوك التبابعة وهو ذو نواس، ويحرضوه على التنكيل بنصاري نجران وتحريقهم بالاخدود، والى ذلك تشير الآية الكريمة: « قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما تقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد^(٢) ». على انه سرعان ما استطاع الاحباش النصاري القضاء على ذي نواس سنة ٥٢٥ وحينذاك كسرت شوكة اليهود في اليمن، ولم يبق لهم شأن يذكر هناك. وقد عرف من يهود اليمن كعب الاحبار ووهب بن منبه وكلاهما اسلم وكان لهما يد طويلة في الاسرائيليات التي شاعت بين المسلمين.

وفي الحجاز ثلث قبائل كثيرة من اليهود، اهمها بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع وبنو بهدل، واستوطنوا في يثرب وخيبر ووادي القرى وتيما، وقد نزل الاوس والخزرج يحوارهم ثم استطاعوا الاستيلاء على يثرب، وكان هم اليهود وجهدهم بعد ذلك ان يوقعوا بين القبيلتين العربيتين، ويشيروا الضغائن وينبشوا الاحقاد، فوقعتم.

(١) لم يقطع المؤرخون برمن دخول اليهود الجزيرة ولا الظروف الواضحة في ذلك، ينظر تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٤/٦ حول يهود اليمن و ٩/٦ - ١١ حول يهود الحجاز وانظر الحياصة العربية حول اليهودية ١٣٦ - ١٤٢ وحول النصرانية من ١٤٢ - ١٥٠ وقد استبعد الدكتور الحوفي ان يكون ذانواس صاحب الاخدود ١٥٤ - ١٥١

(٢) سورة البروج ٤ - ٨

بهم حروب وإيام ودما، حتى جاءهم الإسلام برحمته فأنجاهم من كيد
يهود. وحين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم، الكتاب في المدينة
لينظم أمور المسلمين، ويحدد علاقتهم بغيرهم، وادع اليهود وأمنهم،
فقال عليه السلام: «وانه من تبعنا من يهود فإن له النصره
والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم»^(١)، وقد أقرهم على دينهم
وأكرمهم، وجعلهم والمسلمين في مقام واحد، متناصرين^(٢). إلا أن
اليهود أبوا إلا الغدر والخيانة ونقض العهد، فناصروا المشركين على
المسلمين، وكادوا للمسلمين كل كيد، وقد كان القرآن الكريم لهم
بالمرصاة، يفضح كيدهم ويكشف باطلهم، حتى قامت الحرب بين
المسلمين واليهود، فكان النصر لدين الله والمهزيمة لأعدائه المنافقين.
ولم يستطع اليهود أن يتركوا آثارا واضحة في عرب الجزيرة^(٣)،
بل كان تأثير العرب فيهم واضحا متميزا، فقد تعرب فريق منهم،
كيهود يثرب وخيبر ووادي القرى وفدك وتيما، واصطنعوا اللغة
العربية لغة الحديث، وظهر فيهم بعض الشعراء الذين نظموا في العربية
كالسموأل بن عاديا، في الجاهلية، وكعب بن الأشرف وجبل بن جوال
وسماك اليهودي في الإسلام^(٤).

هذا مجمل ما لليهودية في الجزيرة، أما النصرانية فقد انتشرت عن

(١) السيرة النبوية ٥٠٣/١

(٢) المصدر السابق والمنحة

(٣) على خلاف ما يحاول أن يثبت بعض المستشرقين من تأثير اليهود في العرب
وفي الدين الإسلامي. انظر تفصيل ذلك في تاريخ العرب قبل الإسلام - جواد علي
٨٩/٦ - ٩٤ وكذلك ١٧٧/٦ والحياة الدرية ص ١٤٠ وما بعدها وانظر كذلك
المرآة في الشعر الجاهلي ص ١١ - ١٤.
(٤) السيرة ١٩٧/٢ وما بعدها.

طريق الروم والحبشة ونصارى الحيرة ، وقد اعتنقت بعض القبائل العربية النصرانية ، مثل عاملة وجذام وكلب وقضاة من الغساسنة في الشام ، وفي العراق تغلب وأباد وبكر ، والعباد في الحيرة . وكان نصارى الشام يعاقبة أو (منو فيستين) وهم القائلون بأن للمسيح طبيعة واحدة ، وينسب هذا المذهب الى يعقوب الهرادي المولود حوالي سنة ٥٠٠ للميلاد . أما نصارى العراق فقد كانوا تساطرة^(١) نسبة الى نسطوريوس المتوفى سنة ٤٥٠ للميلاد ، وهو يرى أن للمسيح طبيعتين أو اقنومين : اقنوم الناسوت واقنوم اللاهوت^(٢) . اما في اليمن فكان في نجران نصارى على مذهب اليعاقبة - كالحبشة والغساسنة -^(٣) . اما في مكة فكان هناك رقيق حبشي من النصارى^(٤) ، ويذكر اوليري^(٥) ان في مكة جالية من نصارى الروم .

وابرز شاعر عرف للتصاري في الجاهلية : عدي بن زيد العبادي ، الذي سقطت في شعره اسما ، ومصطلحات نصرانية ، وان ظهرت هذه الاسماء والمصطلحات عند شعراء جاهليين من غير النصارى . ومهما يكن من شيء ، فان النصرانية - على الرغم من انتشارها - لم تكن لتترك آثاراً واضحة في حياة العرب^(٦) الجاهليين او دينهم ، لأن

(١) اسباب النزول - الواحدى ص ٢١٨

(٢) حول المذاهب النصرانية ينظر تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي ٦/٩٨ وما بعدها .

(٣) اسباب النزول ص ٢١٨ ط مصر بنىة احمد مطر

(٤) المصدر السابق ص ٢١٢

(٥) O'leary: Arabia before Mohammad, p. 184.

(٦) انظر المرأة في الشعر الجاهلي ص ٢٢-٢٤ حيث يبين سبب ضعف النصرانية وقلة تأثيرها في العرب .

النصارى انفسهم لم يكونوا قد تعمقوا دينهم ونسكوا به بدقة
واخلاص ، فقد كان دينهم مشوبا بالوثنية ، ذلك ان تعاليم النصرانية
كفكرة التثليث وحياة المسيح وغيرها لم تظهر في الشعر الجاهلي ،
وكل ما هناك اسما خاصة بدينهم كالصليب والناقوس والبيعة
وغيرها ، وان ذكر هذه الامور لا يدل على ايمان متمكن عميق ،
بقدر ما يدل على وصف امور مشاهدة ، وهذا عدي بن زيد الشاعر
النصراني لا يرى حرجا في ان يقسم برب الكعبة الوثنية ، كما يقسم
برب الصليب ، يقول :^(١)

سعى الاعداء لا يألون شرا علي ورب مكة والصليب

وقد عرفت الجزيرة العربية مع هذه الاديان - الوثنية واليهودية
والنصرانية - عبادات اخرى كثيرة ، منها : المجوسية التي دخلت
عن طريق الحيرة الى العراق ، فانتشرت في بعض القبائل كقبيلة تميم .
والمجوس ثنوية يؤمنون بالهين يدبران العالم هما : اله الخير واله الشر .
او النور والظلمة^(٢) .

وظهرت عبادة الكواكب عند بعض القبائل - وهي لا شك
من اثر الصابئة وبقايا الكلدانيين - فيقال ان كنانة عبدت القمر ، وان
فريقا من قريش وخزاعة ولحم عبدت نجم الشعري^(٣) ، وقد جاء في
قوله تعالى : «وانه هو رب الشعري»^(٤) تبكيته لهم لما كانوا ينسبون

(١) الاغانى ١١١/٢ ط الدار

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٨٤/٦ وما بعدها .

(٣) صروج الذهب - المسعودي ١٢٠/٣

(٤) سورة النجم ٤٩

الى هذا النجم من القدرة. ويقول اوليري: ^(١) ان العزى تمثل كوكب الزهرة واللات رمز للشمس ، وقد عبدت الشمس ^(٢) في اليمن ، فقد كانت ملكة سبأ وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وقد حكى القرآن ذلك على لسان المدهد حين اخبر سليمان عليه السلام : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون » ^(٣) وقد عرف من اسمائهم : عبدشمس وعبدالعزى . كما عرفت جماعة منهم باصحاب الدهر ، وقد حكى القرآن الكريم عقيدتهم بقوله : « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » ^(٤) . وهؤلاء ينكرون الخالق والبعث والجزاء ، ويرون أن العالم لا يخرب ولا يبيد والا كان مخاوفا مبتدعا ، قال شداد بن الاسود بن عبدشمس ، يرثي كفار قريش يوم بدر ^(٥) .

يخبرنا الرسول لسوف نجيا وكيف لقاء اصدا، وهام
الى غير ذلك من الديانات والعبادات ^(٦) .

هذه الديانات المختلفة ، من موحدة او مشوبة بالشرك ، متمسكة بدينها او معتادة عليه ، مقدسة للوثنية ، اوساخطة عليها ، وتلك

(١) O'leary: Arabia before Mohammad. p. 194.

(٢) انظر في عبادة الكواكب والقبائل التي عبدتها الحياة العربية ٤٢٠ - ٤٢١

(٣) سورة النمل ٢٤

(٤) الجاثية ٢٤

(٥) السيرة ٢٩/٢

(٦) انظر عبادات اخرى عرفت في الجزيرة في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام

للقسم الديني .

الحياة المضطربة المختلفة ، وكل ذلك كان يسدل على ان الفترة فترة قلق وارهاس وتطلع شي . جديد تشوقه النفوس ، وتهفو اليه الافئدة دون ان تعي تلك النفوس والافئدة ، كيف ومتى يحدث او يكون " . وقد كان لذلك الارهاس اسبابه وعوامله التي ساعدت على دنو زمانه وتعجيل حينه ، من ذلك ان الفترة التي سبقت الاسلام تميزت بامور ، منها : وعي سياسي وميل الى التكتل ، كما حدث في قبائل مملكة كندة ، والمحالفات الكثيرة التي عقدت بين القبائل الاخرى . وكان للاسواق الاثر الفعال في توكيد الشعور المشترك والمشاركة العاطفية وتبادل الافكار وتصفية كثير من المشاكل والاحقاد . وهناك الخطر الخارجي الذي يتمثل في طماع الفرس والبيزنطيين والاحباش ان يسيطروا على الجزيرة ، فاستيقظ الشعور المشترك بالمصير الواحد ، وكان انتصار قبائل عربية على الفرس في موقعة ذي قار - على الرغم من ان بعض القبائل كانت مع الفرس - عاملا آخر في يقظة العرب وشدهم نحو الاتحاد .

ويلاحظ كذلك الحاجة الى اقامة العدل والامن واجتماع الكلمة ، وبخاصة في مكة حيث اقيم (حلف الفضول) للانتصاف من الظالمين ، وانصاف المظلومين ، وهذا يعني ، الرغبة في اقامة عدالة اجتماعية تردع الطائشين والمتهودين . ثم ارتباك الاحوال الاجتماعية التي عرفت

(١) من ذلك كان تظلم الاحناف ، فقد روت الاخبار ان زيد بن عمرو بن ثعلبة من بامية بن ابي الصلت فقال له : (يا باغي الخير هل وجدت) قال لا ، ولم اوت من طلب . قال : ابي علماء اهل الكتاب الا انه منا او منك او من اهل فلسطين) ، طبقات الشعراء ص ٢٢٠ والاغانى ١٢٢/٤ ط الدار .

بمكة خاصة ، من تقشى الاستغلال والربا والغش واكل اموال
اليتامى والقسوة على الضعفاء والعبيد .

لهذا كله ولما يتصل به اثر في ان يتطلع الناس الى حركة تهـز
هذا المجتمع وتقضي على ما فيه من شرور ونظـم فاسدة وعقائد
مضطربة^(١) ، جاء الاسلام في تلك الفترة انجح علاج واسمى نظام وأكرم
عقيدة واعظم تشريع ، فلم يلبث العرب ان عارضه بعضهم وهش له
بعضهم . ثم لم يلبثوا جميعا ان أقبلوا على اعتناقه والامتزاج به وتفديته .
بأعز ما يملكون .



(١) ليس معنى هذا ان الاسلام كان امتدادا لفكرة بين الناس مما حمل الذي على
اظمـارها وتوكيدها كما قد يزعم من ينكر فضل الرسول وقديسة الوحى ، ولـكن
الاسلام ، كان استجابة لضرورة قائمة جاءت في حينها الموقوت من لدن رحيم عليم .
كتب على رسوله ان يبشر وينذر ويتحمل في سبيل الله ضروبا من الازهاق واللجاجة
والاذى .

فهرس المصادر والمراجع

الآلوسي - محمود شكري (ت ١٣٤٢ هـ)

١ - بلوغ الادب في معرفة أحوال العرب - بعناية الاثري ط ١٩٢٤ م

ابن الاثير - علي بن محمد بن الجزري (ت ٦٣٠ هـ)

٢ - الكامل في التاريخ - ط المنيرية مصر ١٣٤٩ هـ

٣ - أسد الغابة في معرفة الصحابة - ط المكتبة الاسلامية طهران

ابن الاثير - أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري

(ت ٦٠٦ هـ)

٤ - النهاية في غريب الحديث والاثر - ط حجر

احمد امين

٥ - فجر الاسلام - ط النهضة مصر

الاصفهاني - أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاموي (ت ٣٥٦ هـ)

٦ - الاغانى - ط دار الكتب و ط ساسي

الاصمعي - أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٥ هـ)

٧ - الاصمعيات - تحقيق شاكر وهارون ط دار المعارف

الاعشى - ميمون بن قيس (ت ٦٢٩ م)

٨ - ديوان الاعشى - تحقيق محمد حسين ط مكتبة الجواميز

الوارد

٩ - العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين - ط ليدن

البحثري - الوليد بن غبيد (ت ٢٨٤ هـ)

- ١٠ - حماسة البحتري - ط ليدن ١٩٠٩ م
- البخاري - أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)
- ١١ - صحيح البخاري (الجامع الصحيح) - ط اوربا
- البكري - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ)
- ١٢ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع - تحقيق مصطفى السقا ١٩٤٥ م
- البلاذري - أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)
- ١٣ - نساب الأشراف - الجزء الأول ط دار المعارف والجزء الخامس ط الجامعة العبرية
- ١٤ - فتوح البلدان - ط المصرية ١٩٣٢ م
- التبريزي - أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٢٠ هـ)
- ١٥ - شرح الحاشية - ط السعادة ١٣٤٦ هـ
- ١٦ - شرح المملقات العشر - تحقيق كارلوس لايل ط ليدن
- الشعالي - عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ)
- ١٧ - فقه اللغة وسر العربية - نشر سليجمان
- الجاحظ - أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)
- ١٨ - البيان والتبيين - تحقيق هارون ط لجنة التأليف ١٩٤٨
- ١٩ - الحيوان - تحقيق هارون ط الحلبي ١٩٤٥ م
- جرجي زيدان
- ٢٠ - العرب قبل الإسلام - بعناية حسين مؤنس
- جواد علي

- ٢١- تاريخ العرب قبل الاسلام - ط المجمع العالمي العراقي - بغداد
ابن الجوزي - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٦٧ هـ)
- ٢٢- المنتظم في تاريخ الامم والملوك - ط حيدر اباد ١٣٥٩ هـ
جوستاف لوبون
- ٢٣- حضارة العرب - ط الحلبي ١٩٢٥ م
الجوهري - أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨ هـ)
- ٢٤- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - تحقيق احمد عبد الغفور
حاتم الطائي
- ٢٥- ديوان حاتم الطائي - ط ليدن ١٨٧٢ م
حافظ وهبة
- ٢٦- جزيرة العرب في القرن العشرين - ط القاهرة ١٩٤٦ م
ابن حبيب - محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)
- ٢٧- الخبر - ط الهند ١٩٤٢ م
حتي - فيليب حتي وجرجي وجبور
- ٢٨- تاريخ العرب مطول - ط الكشاف ١٩٥٢ م
حسان بن ثابت - الخزرجي الانصاري (ت ٥٤ هـ)
- ٢٩- ديوان حسان بن ثابت - ط هيرشفيلد ليدن ١٩١٠ م
الحصري - أبو اسحق ابراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣ هـ)
- ٣٠- زهر الآداب - ط السعادة ١٩٥٣ م
الخطيئة - جرول بن اوس (ت ٣٠ هـ)
- ٣١- ديوان الخطيئة - تحقيق نعمان أمين طه ط سنة ١٣٧٨ هـ
الحوفي - احمد محمد

- ٣٢- الحياة العربية في الشعر الجاهلي - ط ٤ نهضة مصر
- ٣٣- المرأة في الشعر الجاهلي - ط نهضة مصر ١٩٥٤م
- ابن خلدون - عبدالرحمن بن خلدون المغربي (ت ٨٠٨ هـ)
- ٣٤- تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) - ط دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦م
- ٣٥- مقدمة ابن خلدون - ط مصطفى محمد - مصر
- الدينوري - أبو حنيفة أحمد بن داوود (ت ٢٨٢ هـ)
- ٣٦- الاخبار الطوال - ط وزارة الارشاد القومي مصر
- الزبيدي - محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ)
- ٣٧- تاج العروس في جواهر القاموس
- الزنجشيري - أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)
- ٣٨- تفسير الكشاف - ط مصر
- ٣٩- الفائق في غريب الحديث - نشر البجاوي وابي الفضل ١٩٤٥م
- ٤٠- عجب العجب في شرح لامية العرب - ط حجر زهير بن ابي سلمى
- ٤١- ديوان زهير شرح ثعلب - ط دار الكتب ١٩٤٤م
- ابو زيد - سعيد بن اوس بن ثابت الانصاري (ت ٢١٥ هـ)
- ٤٢- كتاب المطر - ضمن البلفة في شذور اللغة ط شيخو بيروت ١٩٠٨م
- ابن سعد - محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)
- ٤٣- الطبقات الكبير - ط سنجو ليدن
- ابن سلام - محمد بن سلام الجعفي (ت ٢٣١ هـ)
- ٤٤- طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود شاكر ط - دار المعارف مصر

السهيلي - ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي (ت ٥٨١هـ).

٤٥ - الروض الانف - ط سنة ١٩١٤

الشهرستاني - محمد بن عبدالكريم (ت ٥٤٨هـ)

٤٦ - الملل والنحل - نشر محمد بدران - القاهرة ١٩٤٧م

شيخو - لويس شيخو اليسوعي (ت ١٩٢٧ م)

٤٧ - شعراء النصرانية - ط بيروت ١٩٢٦م

صاعد الاندلسي - القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد (ت ٤٦٢هـ).

٤٨ - طبقات الامم - ط السعادة مصر

الضي - المفضل بن محمد الضبي (ت ١٧٠هـ)

٤٩ - المفضليات - شرح ابن الانباري - نشر كارلوس لايل ط ليدن

١٩٢٠م

الطبري - ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)

٥٠ - تاريخ الطبري - ط اوربا وط الحسينية

ابن العبري - ابو الفرج غريغوريوس بن هارون المالطي

(ت ٦٨٥هـ)

٥١ - مختصر الدول - ط بيروت

ابن عبد البر - ابو عمر يوسف بن عبدالله النعمري القرطبي

(ت ٤٦٣هـ)

٥٢ - الاستيعاب في معرفة الاصحاب - تحقيق محمد البجاوي - ط نهضة

مصر

٥٣ - الانباء على قبائل الرواة - ط القاهرة ١٣٥٠هـ

ابن عبد ربه الاندلسي - (ت ٣٢٧هـ)

٥٤ - العقد الفريد - تحقيق احمد امين وآخريين ط ١٩٤٦ م

عبيد بن الابرص

٥٥ - ديوان عبيد بن الابرص - نشر شارلس ليال - ط دار المعارف

مصر

ابو عبيدة - معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ)

٥٦ - النقائص - تحقيق بيفان - ط ليدن ١٩٠٥ م

عرام بن الاصبغ السلمي - (ت القرن الثالث الهجري)

٥٧ - اسماء جبال تهامة وسكانها - تحقيق هارون ١٣٧٣ هـ

عروة بن الورد العبسي

٥٨ - ديوان عروة بن الورد - شرح ابن السكيت - ط ابن ابي شنب

الجزائر ١٩٢٦

العلي - صالح احمد العلي

٥٩ - محاضرات في تاريخ العرب - ط ٣ بغداد ١٩٦٤

الغزي - نجم الدين

٦٠ - النكواكب السائرة - ط بيروت ١٩٤٥ م

ابو الفداء - عماد الدين اسماعيل صاحب حماة (ت ٧٣٢ هـ)

٦١ - المختصر في اخبار البشر - ط الحسينية مصر

الفرزدق - همام بن غالب (ت ١١٠ هـ)

٦٢ - ديوان الفرزدق - ط الصاوي

فروخ - عمر فروخ

٦٣ - تاريخ الجاهلية - ط بيروت ١٩٦٤ م

ابن الفقيه - ابو بكر احمد بن محمد الهمداني (ت ٣٦٥ هـ)

- ٦٤- مختصر كتاب البلدان - نشر دي غويه ط ليدن ١٨٨٥م
 الفيروز ابادي - مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٦ هـ)
 ٦٥- القاموس المحيط - ط ٢ مصر
 القالي - ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ)
 ٦٦- امالي القالي (الامالي والنوادر) - ط السعادة مصر ١٩٥٣م
 ابن قتيبة - ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)
 ٦٧- كتاب الاشربة - تحقيق محمد كرد علي - ط دمشق ١٩٤٧م
 ٦٨- كتاب الانواء في مواسم العرب - نشر شارل بيلا - ط الهند
 ١٩٥٦م
 ٦٩- الشمر والشعراء - ط ليدن ١٩٠٤م
 ٧٠- عيون الاخبار - ط دار الكتب ١٩٢٥م
 ٧١- المعارف - ط دار الكتب ١٩٦٠م
 ابن الكلبي - ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٥ هـ)
 ٧٢- الاصنام - تحقيق احمد زكي - ط دار الكتب ١٩٢٤م
 لبيد بن ربيعة العامري - (ت ٤٤٠ هـ)
 ٧٣- ديوان لبيد بن ربيعة - تحقيق احسان عباس ط الكويت ١٩٦٢م
 المسعودي - علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ)
 ٧٤- مروج الذهب - ط يحيى الدين عبد الحميد
 ابن مسكويه - أبو علي احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ)
 ٧٥- تجارب الامم - نشر كايتاني - ط ليدن ١٩٠٩م
 المرزوقي - أبو علي احمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ)
 ٧٦- الازمنة والامكنة - ط دائرة المعارف الهند ١٣٣٢هـ

٧٧- شرح ديوان الحماسة - تحقيق احمد امين وهارون ط ١٩٥١م
ابن منظور - جمال الدين محمد بن المكرم الافريقي الانصاري
(ت ٥٧١٦ هـ)

٧٨- لسان العرب - ط بولاق وط صادر بيروت
الميداني - ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ)
٧٩- مجمع الامثال - ط ٢ السعادة ١٩٥٩م
الناطقة الذبياني

٨٠- التوضيح والبيان عن شعر ناطقة ذبيان - ط السعادة مصر
ابن النديم - ابو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب (ت ٣٨٥ هـ)
٨١- الفهرست - ط لايزك ١٨٧١م وط الاستقامة مصر
التويري - احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ)

٨٢- نهاية الارب - ط دار الكتب ١٩٢٩م
ابن هشام - ابو محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ)
٨٣- السيرة النبوية - تحقيق السقا و اخرين ١٩٥٥م
الهمداني - ابو محمد الحسن بن احمد (ت ٣٣٤ هـ)

٨٤- صفة جزيرة العرب - نشر محمد النجدي ط السعادة مصر ١٩٥٣م
الواحدي - ابو الحسن علي بن احمد النيسابوري
٨٥- اسباب نزول القرآن - تحقيق احمد صقر - ط مصر
الواقدي - محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ)

٨٦- المغازي (مغازي رسول الله) - ط السعادة ١٣٦٧ هـ
ياقوت - شهاب الدين الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ)

٨٧- معجم البلدان - ط لايزك ١٨٦٦م

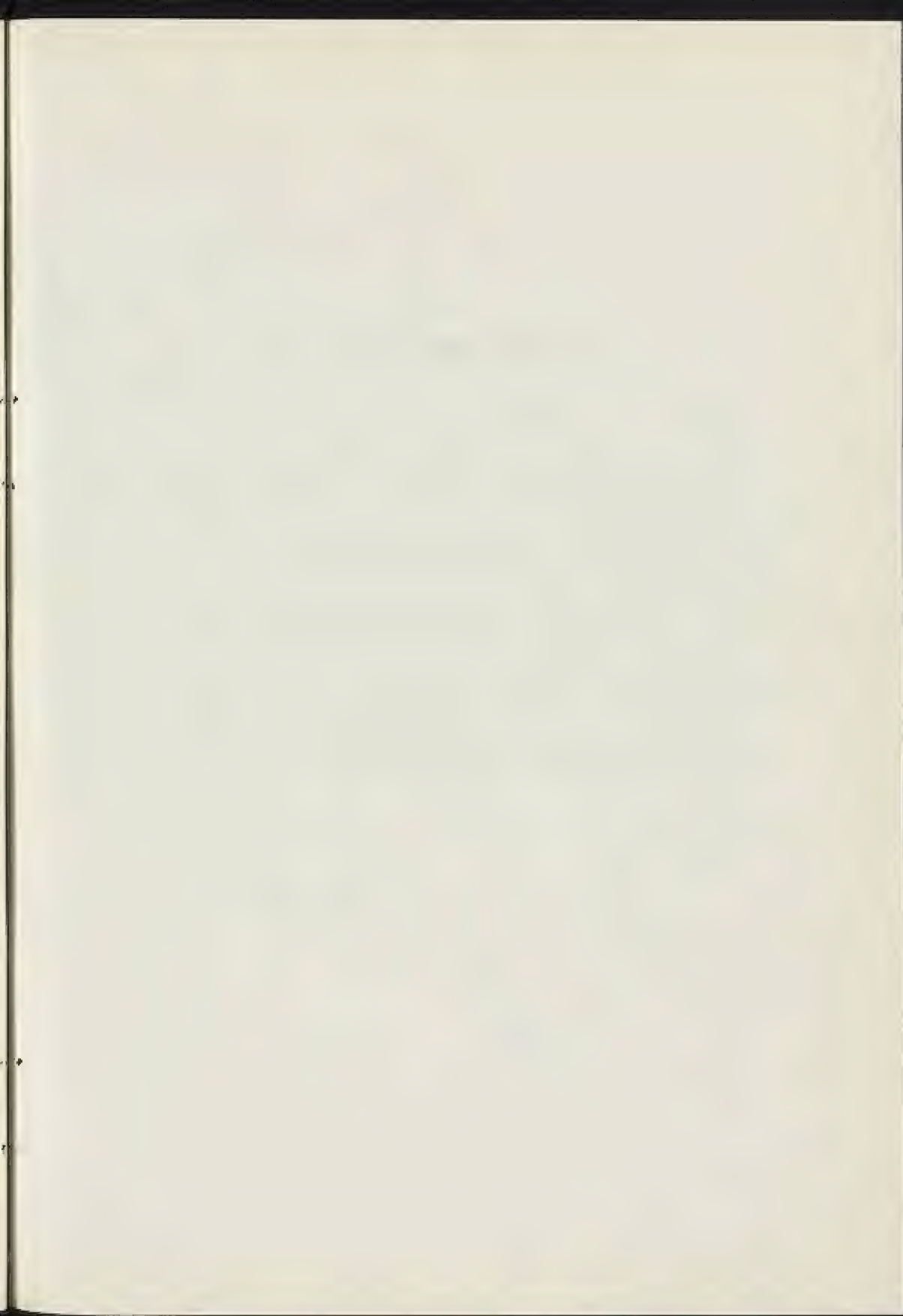
اليقوي - احمد بن ابي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٢ هـ)

٨٨- تاريخ اليقوي - ط الغري النجف ١٣٥٨ هـ

المراجع الاجنبية

KHUDA BUKHSH :

- 89- Contributions to the History of Islam
Civilization - Calcutta. 1930.
Mohammad Ali :
- 90- Mohammad the Prophet - Lahore. 1933.
Nicholson (R. A.) :
- 91 A Literary History of the Arabs - London 1941.
O'Leary (De Lacy) :
- 92- Arabia before Mohammad 1927.
R. Smith :
- 93- Kinship and Marriage in old Arabia. London 1907.
Sayce. (A. H.) : *R. Smith*
- 94- Early Israel.
Von Kremer :
- 95- Ueber die Gedichte Des Labyd - Wien 1880.
Perceval (Coussin de) :
- 96- Essai Sur L'Histoire Des Arabes. 1849.
- 97- Encyclopaedia of Islam.



الفهارس

- ١ - الآيات
- ٢ - الأحاديث
- ٣ - الأمثال
- ٤ - القوافي
- ٥ - الاعلام
- ٦ - القبائل والأمم والأديان ونحوها
- ٧ - المواضع والبلدان
- ٨ - الموضوعات

١- فهرس الايات الكريمة*

الصفحة	الآيات	السورة ورقم الآية
١٣	واذ كر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف .	الاحقاف ٢١
٩١، ١٧-١٦	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور .	سبأ ١٥
٢٥	وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .	الفرقان ٦٣
٢٥	انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب .	النساء ١٧
٢٦	وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما .	الفرقان ٦٣
٢٩	ليخرجكم من الظلمات الى النور .	الحديد ٩
٢٩	يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية .	آل عمران ١٥٤
٢٩	أنفخكم الجاهلية ينفون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون .	المائدة ٥٠
٢٩	وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى .	الاحزاب ٣٣
٢٩	إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية .	الفتح ٢٦

* حسب ورودها في الكتاب .

الصفحة	الآيات	السورة ورقم الآية
٣١	وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم ،	التوبة ٩٠
٣٢	ومن حولكم من الأعراب منافقون	التوبة ١٠١
٣٢	الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله	
	والله عليم حكيم .	التوبة ٩٧-٩٨
٣٢	يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ اسلامكم .	الحجرات ١٧
٧٦، ٣٣	قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا .	الحجرات ١٤
٣٤	ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر	التوبة ٩٩
٧٣	وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم .	النحل ٥٨-٥٩
٧٤	ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم .	الاسراء ٣١
٧٧	أنتزكون في ماها هنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم .	الشعراء ١٤٦-١٤٩
٨١	لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف .	قريش ١-٢
٨٣	فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .	قريش ٣-٤

الصفحة	الآيات	السورة ورقم الآية
٨٤-٨٣	او لم تمنكن لهم حبراً آمناً يجبي اليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون .	القصص ٥٧
٨٥	والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون .	النحل ٧-٥
٨٥	والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الانعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم .	النحل ٨٠
١٠٤	وما تعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى .	الزمر ٣
١٠٤	ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم .	يونس ١٨
١٠٤	ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله .	لقمان ٢٥
١٠٤	ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون .	الزخرف ٨٧
١٠٤	قل من يرزقكم من السماء والارض .	يونس ٣١
١١١	ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً .	آل عمران ٦٧
١١٠	ان ابراهيم كان أمة فانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين .	النحل ١٢٠

<u>الصفحة</u>	<u>الآيات</u>	<u>السورة ورقم الآية</u>
١١٠-١١١	ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً .	النحل ١٢٣
١١٢	قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود .	البروج ٤
١١٥	وانه هو رب الشعري .	النجم ٤٩
١١٦	وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله .	النمل ٢٤
١١٦	وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر .	الجاثية ٢٤

٢- فهرس الأحاديث*

الصفحة	
٢٥	إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل .
٢٨	من استجمل مؤمناً فعليه إثم .
٢٨	إنك امرؤ فيك جاهلية .
٢٨	ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عترة .
٢٩	ولكن اجتهدته الحمية .
١٠١-١٠٢	ان هذا الكلام حسن والذي معي أفضل منه ، قرآن أنزله- الله تعالى عليّ وهو هدى ونور .
١١١	بعثت بالحنيفية السمحة .
١١١	أحب الأديان عند الله الحنيفية السمحة .
١١٣	وانه من تبعنا من يهود فإن له النصره والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .

٣- فهرس الامثال

- آخر الدواء، الكي : ٩٧
أطب من ابن حذيم : ٩٧
أقرى من مطاعم الريح : ٦٤
سيند معمم : ٤٥
في الجزيرة تشترك العشيرة : ٤٤
كجالب التمر الى هجر : ١٧

٤- فهرس القوافي

الصفحة	القائل	البحر	القافية	اول البيت
٦٨	حسان بن ثابت	وافر	اللقاء	ونشر بها
١٠٥	الناطقة الذبياني	طويل	مذهب	حلفت
٤٤	عامر بن الطفيل	طويل	موكب	اني وان كنت
١١٥	عدي بن زيد	وافر	والصليب	سعى الاعداء
٨٧	عمرو بن معد يكرب	كامل	طيب	أبني زياد
٧٩	عمرو بن كلثوم	طويل	أبا	لما الله
٧٩	معاوية بن مالك	وافر	غضابا	اذا سقط
٩٩	شاعر	طويل	مرت	خبير
١٠٥	ابو قيس بن الأسلت	وافر	أتيت	أجرت
٦٠	كعب بن مالك	متقارب	الأدعج	فلاقاه
١٠٥	عبيد بن الأبرص	بسيط	تصفاح	حلفت
٦٢	عروة بن الورد	طويل	جاهد	أنهزأ
١٠٩	رجل من بني ملكان	طويل	سعد	أتينا
١١١	عبد الله بن أنيس	طويل	محمد	وقلت
٧٤	الفرزدق	مجزوء، الكامل	توأد	ومنا الذي
٦١	دريد بن الصمة	طويل	أرشد	وهل أنا
٦٩	طرفة بن العبد	طويل	ومتلدي	وما زال
٧١	طرفة بن العبد	طويل	عودي	فأولا ثلاث

الصفحة	القائل	البحر	القافية	اول البيت
٧٨	الأعشى	كامل	يحصدا	لسنا كن
٥٤	جبله بن الأيهم	طويل	ضرر	تنصرت
٧٣	حاتم الطائي	طويل	الذكر	أماوى
١٠٤	أوس بن حجر	طويل	أكبر	وباللات
٥٠	شاعر	طويل	غريز	ابى القلب
٧٠	المنخل الشكري	بجزوء الكامل	تحدوى	ان كنت
٦٥	الحطيئة	طويل	حاضره	وشر المنايا
١٠٨	امرؤ القيس او غيره	رجز	المقبورا	لو كنت
٦٠	كعب بن مالك	طويل	مقنع	فحننا
٨٨	شاعر	بسيط	جوع	اقول بالمصر
٩٩	لبيد بن ربيعة	طويل	صانع	لعمرك
٨٦	شاعر	وافر	تباع	أبيت اللعن
٥٩	الحادرة	كامل	مجمع	أسمي
٧٢	ام عمرو بنت وقدان	كامل	بالأبرق	فإن أنتم
٨٢	ابو سفيان بن الحارث	طويل	آنك	حسبتم
٢٨	الشنفرى	طويل	أنمل	ولا تزدهى
١٠٦	لبيد	طويل	المحاصل	وكل امرئ
٢٩	عنتره	كامل	المأكل	ولقد أبيت
١٠٦	علاف بن شهاب التيمي	كامل	المغتال	ولقد شهدت
٦٣	الوليد بن عقبة	وافر	عقيل	ارى الجزار

اول البيت	القافية	البحر	القائل	الصفحة
وبيض	المسابلا	طويل	لبيد	٧٠
اما والذي	رميم	طويل	حاتم الطائي	١٠٦
فلا تكتمن	يعلم	طويل	زهير بن ابي سمي	١٠٦
فن مبلغ	مقسم	طويل	زهير	١٠٥
ينبرنا	وهام	وافر	شداد بن الأسود	١١٦
هلا سألت	تعلمي	كامل	عنتره	٢٦
الاسودان	سقامي	رجز	شاعر	٨٧
لا يفتنون	فطن	كامل	قيس بن عاصم	٦٧
وكن اذا	كانا	وافر	القضامي	٦٥
قوم اذا	وحدانا	بسيط	قريط بن أنيف	٦٤
الا لا يجهلن	الجاهليتنا	وافر	عمرو بن كلثوم	٢٨، ٢٦، ٢٥
ترى اللحن	مهينا	وافر	عمرو بن كلثوم	٦٨
تهددنا	مقتوينا	وافر	عمرو بن كلثوم	٥١
يا عمرو	اسقوني	بسيط	شاعر	٦٦
تكذب	ما يمني	طويل	أمامة المزيرية	١١١
لممرك	واقيا	طويل	افنون التغلبي	١٠٥
وقد ينبت	كهايا	طويل	شاعر	٦٦

٥ - فهرس الاعلام*

- (ا)
- أشور : ٣٩ •
- أكل المرار = حجر بن الحارث •
- الآلوسي (محمود شكري) : ٢٥ •
- أوليرى : ٣٤ ، ٤٣ ، ١١٤ ، ١١٦ •
- إياس بن قبيصة : ٥١ •
- ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ •
- إبراهيم (الخليل النبي) : ٩ ، ١٠٧ •
- ١١٠ ، ١١١ •
- ابن الأنثري : ٢٨ •
- أحمد = رسول الله محمد •
- أحمد بن تيمية (شيخ الاسلام) : ٣١ •
- أحمد بن عبدالله (أبو العباس) : ٣١ •
- اسفنديار : ١٠٠ •
- اسماعيل (النبي) : ١٠٧ •
- الاسود بن عبد شمس : ١١٦ •
- الاصفهاني (أبو الفرج) : ٧٠ •
- الأعشى (ميمون بن قيس) : ١٨ •
- ٥٤ ، ٧١ ، ٧٨ •
- افنون التغلبي : ١٠٥ •
- الأفوه الأودي : ١٠١ •
- أكثم بن صيفي : ١٠١ •
- أمامة المزيرية : ١١١ •
- الامبراطور : ٥٣ ، ٥٥ •
- امرؤ القيس : ٢٠ ، ٥٥ ، ١٠٨ •
- أمية بن أبي الصلت : ٦٩ ، ١١٠ •
- ١١٧ •
- أوس بن حجر : ١٠٤ •
- أوليرى : ٣٤ ، ٤٣ ، ١١٤ ، ١١٦ •
- إياس بن قبيصة : ٥١ •
- (ب)
- برترام توماس : ١٣ •
- البراض بن قيس : ٦٩ •
- برسيغال (دو برسيغال) : ٥٢ •
- البسوس (نافقة) : ٥٥ ، ١٠٠ •
- بشار بن برد : ٩٠ •
- بطريق (لقب الروم) : ٥٣ •
- أبو بكر (الصديق) : ٣٦ ، ٦٩ •
- ١٠٠ •
- ابلاذري : ١٩ •
- بالاشير : ١١٠ •
- بنات نعلش (كواكب) : ٩٦ •
- بهرام جور : ٤٩ •
- بهيسة بنت أوس الطائي : ٦٧ •
- (ت)
- تأبط شرأ : ٦٠ •
- التغلي = عمرو بن كلثوم •

* لم نذكر هنا اعلام المؤلفين الا الذين ورد ذكرهم في المتن أو كان لهم

رأى •

(ث)

الحارث بن كلدة الثقفي : ٩٧ ، ٩٤
حجر بن الحارث (آكل المرار) : ٥٤

• ٥٥

ابن حذيم التميمي : ٩٧

الحرون (فرس) : ٨٦

حسان بن ثابت : ٥٤ ، ٦٨ ، ٨٢

• ٩٣

حضرمي بن عامر : ٣٢

حليمة (يوم حليمة) : ٥٣

حمزة بن عبدالمطلب : ٦٠

الحوفي (الدكتور أحمد) : ٧٤ ، ٦٣

الخطيئة : ٦٥

(خ)

خالد بن سنان العبسي : ١١٠

خالد بن الوليد : ٥١

ابن خالويه : ٣٠

خدايخس : ٩٠

ابن خلدون : ٢٤ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٥٣

• ٩٦

(د)

داحس (فرس) : ٨٦ ، ١٠٠

دريد بن الصمة : ٦١

دغفل بن حنظلة الشيباني : ١٠٠

(ذ)

أبو ذر : ٢٨

ذو ريدان (من ملوك اليمن) : ٥٤

ذو نواس : ١١٢

الغالي : ٩٦

الثور (برج الثور) : ٩٦

ثورا (الثور بالكلدانية) : ٩٦

(ج)

الجاحظ (عمرو بن بحر) : ٩٥

• ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١

جبل بن جوال : ١١٣

جيلة بن الأيهم : ٥٣

الجدي (برج) : ٩٦

جذيمة الأبرش : ٤١

الجرادتان (مغنيان) : ٦٨

جرجي زيدان : ٥٠

جرير : ٧٩

جستيان (امبراطور الروم) : ٥٣

جفنة بن عمرو = مزريقاء

الجوزاء (كوكب) : ٩٦

الجون (فرس) : ٨٦

الجوهري : ٣١

(ح)

حاتم الطائي : ٦٣ ، ١٠٦

الحادرة (قطبة بن أوس) : ٥٩

الحارث بن أبي شسر : ٥٣

الحارث بن جيلة : ٥٢

الحارث بن عمرو : ٥٥ ، ٥٠

الحارث بن عوف : ٦٧

(د)

- ربيعة بن حذار : ١٠١ •
- الربيع بن زياد : ٩٣ •
- ربيع المقترين (ربيعة بن مالك) : ٦٤ •
- ردينة (تنسب اليها الرماح) : ٨٠ •
- رستم : ١٠٠ •
- رسول الله = محمد •
- ريثان : ٩١ ، ١٠٧ •
- ابن سلام (الجعفي) : ٨٣ •
- سليمان بن ربيعة الباهلي : ٩٨ •
- سلمة (بن الحارث بن عمرو) : ٥٥ •
- سليمان (النبي) : ١١٦ •
- سمالك اليهودي : ١١٣ •
- السموأل (بن عادية) : ١١٣ •
- سمية (في شعر الحادرة) : ٥٩ •
- أم سنبلة الأسلمية : ٣٦ •
- سويد بن الصامت : ١٠١ •

(ز)

- الزمخشري : ٨٣ ، ١٠١ •
- زهير بن أبي سلمى : ٢٨ ، ٦٧ •
- ١٠١ ، ١٠٥ •
- زيد بن عمرو بن نفيل : ٩٤ ، ١٠٩ •
- ١١٠ ، ١١٧ •
- أبو زيد الأنصاري : ٩٦ •
- زيد بن الكيس التمري : ١٠ •
- شداد بن الأسود : ١١٦ •
- شرحبيل (بن الحارث بن عمرو) : ٥٥ •
- الشعري (كوكب) : ٩٦ •
- شقائق النعمان (ورد) : ٢٣ •
- الشنفرى : ٢٧ ، ٦٠ •

(ص)

- صاعد الأندلسي : ٩٥ ، ١٠٣ •
- صالح (النبي) : ١٥ •
- صرمة بن أبي أنس : ١١٠ •
- صغصعة بن ناجية : ٧٤ •
- الصليب (عند النصارى) : ١١٥ •
- السائح (النعمان الأعور) : ٤٩ •
- سابور الاول : ٤٩ •
- سايس (مستشرق) : ٩٢ •
- السرطان (برج) : ٩٦ •
- سعد (صنم) : ١٠٩ •

(ض)

- أبو سفيان بن الحارث : ٨٢ •
- أبو سفيان بن حرب : ٧١ ، ٧٢ •
- ٨٢ •
- سكاب (فرس) : ٨٦ •
- ابن ضبا الأسدي : ٤٦ •
- ضرار بن الأذور : ٣٢ •

(ط)

عمرام بن الاصبغ السلمي : ٣٦ ،

• ٥٨

عروة بن الورد : ٦٠ ، ٦٢ •

العسكري (الحسن بن عبدالله) :

• ١٠١

ابو عفاك : ١١١ •

أبو عقيل = ليث •

علاف بن شهاب التيمي : ١٠٦ •

علان الشعوبي : ٩٠ •

علقمة الفحل : ٥٤ •

عمر بن الخطاب : ١٤ ، ٥٤ ، ٩٠ •

• ٩٨

عمرو بن عدى اللخمي : ٤٩ •

عمرو بن كلثوم : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ •

• ٥٠ ، ٥١ ، ٦٨ ، ٧٩ •

عمرو بن لحي : ١٠٧ •

عمرو بن معد يكرب : ٨٧ •

عمرو المقصور : ٥٤ •

عمرو بن نفيل : ٩٤ •

عمرو بن هند (المحرق) : ٥٠ ،

• ٦٨

ام عمرو بنت وقدان : ٧٢ •

عمير بن شبيب = القطامي •

عنبرة العبسي : ٢٦ ، ٢٨ •

عيسى (النبي) : ٢٩ ، ١١٤ ، ١١٥ •

العويق (كوكب) : ٩٦ •

طرفة بن العبد : ٥٠ ، ٦٩ ، ٧١ •

• ١٠١

(ع)

عائشة (أم المؤمنين) : ٣٦ ، ٦٩ •

عامر (بن صعصعة) : ٤٤ •

عامر بن الطفيل : ٤٤ •

عامر بن القرب : ١٠١ •

العباس بن مرداس : ٦٩ •

عبدالله بن أنيس : ١١١ •

عبدالله بن جدهان : ٦٨ •

عبدالله بن الزبير : ٨٣ •

عبد شمس : ٨١ ، ٩٣ ، ١١٦ •

عبدالرحمن بن عوف : ٦٩ •

عبدالعزى : ١١٦ •

عبدالمطلب (جد الرسول) : ٨١ ، ٩٣ •

عبد الملك بن مروان : ٦٢ ، ٦٥ •

عبلة (ابنة مالك) : ٢٦ •

عبيد بن الأبرص : ١٠١ ، ١٠٥ •

أبو عبيدة (معمر بن النسي) : ٤٨ •

• ٩٠

عثمان بن عفان : ٣٤ ، ٦٩ ، ٨٨ •

عثمان بن مظعون : ٦٩ •

عدنان (جد غرب الشمال) : ١٠٠ •

عدى بن زيد العبادى : ١١٤ ، ١١٥ •

• ١١٥

العزري (صنم) : ١٠٤ •

(غ)

الغبراء (فرس) : ٨٦ ، ١٠٠ •

(ف)

الفرزدق : ٧٤ ، ٧٩ •

الفرقدان (كوكب) : ٩٦ •

فون كريمز : ١٠٩ •

فيلاذك (لقب الروم) : ٥٣ •

(ق)

أبو قابوس (المذخر الثالث) : ٥١ •

٥٣ •

قباد (ملك الفرس) : ٥٥ ، ٥٥ •

ابن قتيبة : ٩٥ ، ٩٦ •

قحطان (جد عرب الجنوب) : ١٠٠ •

القرآن (كتاب الله) : ١٣ ، ١٥ ، ١٦ •

٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ •

٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ ، ١٠٠ ، ١٠٣ •

١١٠ ، ١١٣ ، ١١٦ •

قرزل (فرس) : ٨٦ •

قريط بن أنيف : ٦٤ •

قس بن ساعدة : ١٠١ ، ١١٠ •

قضي بن كلاب : ١٠١ •

قطبة بن أوس = الحازدة •

القطامي (عمير بن شسيم) : ٦٥ •

أبو قيس بن الأسلت : ١٠٥ •

قيس بن عاصم : ٢٨ ، ٦٧ ، ٦٩ •

قيصر (ملك الروم) : ٥٣ •

(ك)

الكتاب (الوثيقة) : ١١٣ •

كديا (برج الجدي بالكلدانية) : ٩٦ •

كسرى (ابو شروان) : ٥٠ ، ٥١ •

٥٥ ، ٩٣ ، ١٠٠ •

كعب الاحبار : ١١٢ •

كعب بن الاشرف : ١١٣ •

كعب بن مالك : ٦٠ •

ابن الكلبي (هشام بن محمد) :

٥٢ ، ١٠٧ •

كنانة بن عبد ياليل : ٦٤ •

(ل)

لؤي بن غالب : ١٠١ •

اللات (صنم) : ١٠٤ ، ١٠٥ •

ليد بن ربيعة (أبو عقيل) : ٣٩ •

٥١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٩ •

٩٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ •

ابن لسان الحمرة : ١٠٠ •

لقمان بن عاد : ١٠١ •

لقيم بن لقمان : ١٠١ •

لؤيس شيخو : ١١٠ •

أبو ليلي = النابغة الجعدي •

ليلي (ام عمرو بن كلثوم) : ٥١ •

(م)

مالك بن مسمع : ٦٥ •

المتمسك : ٥٠ •

- المثقب العبدى : ٥١ •
 مجاشع بن دارم : ١٠١ •
 محمد (النبي ، رسول الله) : ٢٥ •
 النافقة الذبياني : ٥١ ، ٥٤ ، ٩٣ •
 * ١٠٥ •
 تسطور يوس : ١١٤ •
 النضر بن الحارث : ١٠٠ •
 النعمانة (فرس) : ٨٦ •
 النعمان بن المنذر (الاعور) : ٤٩ •
 * ٩٣ ، ٧٩ ، ٥١ •
 نوفل (من قریش) : ٩٣ •
 نيكلسون (المستشرق) : ١٠٨ ، ١١٠ •
 (هـ)
 هاشم (بن عبد مناف) : ٨١ ، ٩٣ •
 هرم بن سنان : ٢٨ ، ٦٧ •
 الهمداني : ١١ •
 هند بنت عتبة : ٧٢ •
 هند (ام عمرو بن هند) : ٥١ •
 هود (النبي) : ١٣ •
 هومل (مؤلف) : ٩٢ •
 (و)
 وحشي (عبد بنى نوفل) : ٦٠ •
 ورقة بن نوفل : ١١٠ •
 الوليد بن عقبة (أمير الكوفة) : ٩٣ •
 وهب بن منبه : ١١٢ •
 (ي)
 ياقوت (الرومي الحموي) : ١٥ •
 * ١٨ ، ١٧ •
 يزدجرد الاول : ٤٩ •
 يعقوب البرادعي : ١١٤ •
 المثقب العبدى : ٥١ •
 مجاشع بن دارم : ١٠١ •
 محمد (النبي ، رسول الله) : ٢٥ •
 ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ •
 ٣٦ ، ٧١ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ٩٧ •
 ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١١ ، ١١٣ •
 محمد بن حبيب : ٩٣ •
 مرداخ (المريخ بالكلدانية) : ٩٦ •
 المرزوقي : ٩٣ •
 المرقش الاكبر : ٥٤ •
 المريخ (برج) : ٩٦ •
 مزريقاء (جفنة بن عمرو) : ٤١ •
 * ٥٢ •
 ابن مستطاع العبدي : ٦٥ •
 المسيح = عيسى النبي •
 ماوية (في شعر خاتم الطائي) : ٧٣ •
 معاوية بن أبي سفيان : ٨٠ •
 معاوية بن مالك (معود الحكماء) :
 * ٧٩ •
 معد يكر ب (بن الحارث بن عمرو) :
 * ٥٥ •
 المنذر (بن ماء السماء) : ٤٩ ، ٥٠ •
 * ٥٥ ، ٥٣ ، ٥١ •
 المختل الشكرى : ٥١ ، ٧٠ •
 الميداني : ٤٨ ، ١٠١ •
 (ن)
 النافقة الجعدي (أبوليلي) : ٨٨ ، ٣٤ •

٦ - فهرس القبائل والامم والاديان ونحوها

الاصنام :	٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،	(أ)	
• ١٠٨		• ١٠٤ : الآلهة	
الأعراب :	٧ ، ٩ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ ،	الاجاش (الحبس) :	٨ ، ٦٠ ، ٩٣ ،
• ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،		• ١١٧ ، ١١٢	
• ٣٦ ، ٥٨ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٨٨ ،		الاحناف :	٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٧ ،
• ١٠٣		الأرمين :	٣١ ،
• الأكراد :	٣١ ،	الأزد :	٤٠ ، ٤١ ،
• إله الخير :	١١٥ ،	ازد السراة :	٤١ ،
• إله السر :	١١٥ ،	ازد شنوة :	٤١ ،
• الامة العربية :	٨٩ ،	أزد عمان :	٤١ ،
• الأمم الخالية :	١٠٠ ،	أسد (بنو أسد) :	٣٢ ، ٣٣ ، ٤٠ ،
• الأموية (فترة) :	٣٠ ،	• ٤١ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٦ ،	
• الأبابط :	٩١ ،	• ٩٩	
• الانصار :	٣٣ ،	الاسرائيليات :	١١٢ ،
• أهل الكتاب :	١١٧ ،	الاسلام (دين) :	٧ ، ١٤ ، ١٥ ،
• أهل المدينة :	٣٢ ،	• ١٨ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،	
• الأوثان (وثن ، وقتي) :	٢٧ ، ١٣ ،	• ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ،	
• ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،		• ٣٧ ، ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٩ ، ٧١ ،	
• الأوربيون :	٩١ ،	• ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٨ ،	
• الأوس :	٤١ ، ٥٨ ، ١١٢ ،	• ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٧ ،	
• اباد (قبيلة) :	٤٠ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١١٤ ،	• ١١١ ، ١١٣ ، ١١٧ ،	
(ب)		• ٣٦ : (قبيلة) أسلم	
• باهلة بن أعصر (قبيلة) :	٤٠ ،	• ٤٢ : الأشعرون	
• بجيلة (قبيلة) :	١٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ،	أصحاب الدهر (الدهرية) :	٢٧ ،
• البدو :	٧ ، ٢٤ ، ٥٧ ،	• ١١٦	

(ج)

الجاهلية (جاهلي ، جاهليون) : ٥٠
٢٨-٢٤ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٥ ، ٦
٣٠ ، ٣٧ ، ٦٤ ، ٦٩
٧٠ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٩
٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٣
١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠
١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥

الجزاء (يوم) : ١١٦

جديس (قبيلة) : ١٧ ، ١٨

جذام (قبيلة) : ١٥ ، ٤٢ ، ٥٢
١١٤

جشم (قبيلة) : ٦١

جعفر بن كلاب (قبيلة) : ٤٦

آل جفنة : ٤١ ، ٥٢

جمرات العرب : ٤٧

جهينة (قبيلة) : ١٥ ، ٣٥ ، ٤٢
٥٨

(ح)

بنو حارثة بن عمرو : ٤١

بنو حارثة بن كلب : ٩٦

الحبش (الحبشيات) : ٦٠ ، ٩٤

الحساب (يوم) : ١٠٦

حسل (قبيلة) : ٦٥

حسيل (قبيلة) : ٦٥

الحضر : ٧ ، ٥٧

بنو الحلاف بن الحارث : ٣٣ ، ٧٦

البعث (القيامة) : ٣٠ ، ١٠٦ ، ١١٦

البعثة (النوبة) : ٣٠

بكر (قبيلة) : ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٥
١١٤

أبو بكر بن كلاب (قبيلة) : ٤٦

بلي (قبيلة) : ١٥ ، ٤٢

بهاء (قبيلة) : ٤٢

بنو بحدل : ١١٢

البيزنطيون : ١١٧

(ت)

التابعة (ملوك) : ١١٢

التر : ٣١

التلث (عند التصاري) : ١١٥

الترك : ٣١

تغلب (قبيلة) : ٤٠ ، ٥٤ ، ٥٥
١١٤

تميم (قبيلة) : ١٨ ، ٤٠ ، ٤٦
٥٠ ، ٧٤ ، ١١٥

تنوخ (قبيلة) : ٤١ ، ٤٩

التوحيد : ٩ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١١

(ث)

بنو ثعلبة بن عمرو : ٥٧

ثقيف : ٣٩ ، ٥٨

ثمود (قوم صالح) : ١٥ ، ٧٧ ، ٩١

ثنوية (تحلة) : ١١٥

الرقيق الأسود : ٦٠ ، ١١٤ •	الحلول (قبيلة) : ٦٥ •
(ز)	حمير (الحميريون) : ٥٤ ، ٤٢ •
بنو زهرة : ٤٦ •	٩١ •
بنو زياد : ٨٧ •	الحنيفة (دين) : ٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ •
(س)	١١١ •
الساسانية : ٤٩ •	بنو حنيفة : ٤٠ •
الساميون : ١٠٧ •	حوثكة (قبيلة) : ٤٢ •
سعد بن تميم (قبيلة) : ٤٠ •	(خ)
سعد هذيم (قبيلة) : ٤٢ •	خثعم (قبيلة) : ٤٢ •
سليم (قبيلة) : ١٤ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٧٨ •	خزاعة (قبيلة) : ٤١ ، ١١٥ •
٨٢ •	الخزرج : ٤١ ، ٥٨ ، ١١٢ •
السريان : ٤٩ •	خندق (قبيلة) : ٤٣ •
(ش)	(د)
الشرك : ٢٩ ، ١١٦ •	دين الله : ١١١ •
الشعري (عبادة النجوم) : ١١٥ •	دين ابراهيم : ٨ ، ٩ ، ٩٤ ، ١٠٧ •
الشعوية : ٨٩ ، ٩٠ •	١٠٩ ، ١١١ •
الشمس (عبادة الشمس) : ١١٦ •	الدمرية : ٩ •
(ص)	(ذ)
الصابئة (عبدة الكواكب) : ٩ ، ٢٧ •	ذبيان (الذبيانيون) : ٤٦ ، ٦٧ •
٩٥ ، ١٠٤ ، ١١٥ •	١٠٥ •
الصحابة : ٩٠ ، ٩٧ •	(ز)
الصعاليك : ٦٠ ، ٦٢ •	زبيدة (قبيلة) : ٤٠ •
الصليب (عند النصارى) : ١١٥ •	الروم (الرومان ، الرومانيات) : ٨ •
(ض)	٣١ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ •
الضباب (قبيلة) : ٤٦ ، ٦٥ •	٨٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١١٢ •
ضبة (قبيلة) : ٤٠ ، ٦٥ •	١١٤ •

- ضبيب : ٦٥ +
 ضبيعة : ٤٠ +
 الضجاعة : ٥٢ ، ٤٢ ، ٤١ +
 (ط)
 طسم : ١٨ ، ١٧ +
 طي : ٤٦ ، ٤١ ، ٤٠ ، ١٨ +
 (ع)
 عاد (قبيلة) : ١٣ +
 بنو عامر بن صعصعة : ٥٨ ، ٣٩ +
 ٩٣ +
 عاملة (قبيلة) : ١١٤ ، ٥٢ ، ٤٢ +
 العباد : ١١٤ +
 عبدة الأوثان : ١٠٤ ، ١٠٣ +
 عبادة الكواكب = الصابئة +
 عبادة القمر : ١١٥ +
 العبرانيون : ٩٢ +
 عبس (قبيلة) : ٦٧ ، ٦٢ +
 بنو عبدالدار : ٤٦ +
 بنو عبدالقيس : ٤٠ ، ١٧ +
 بنو عبد مناف : ٤٦ +
 العبيد : ١١٨ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ +
 العجم : ٨١ +
 العدنانية (العدنانيون) : ٤٣ ، ٣٩ +
 عدوان (قبيلة) : ٣٩ +
 عذرة (قبيلة) : ٤٢ ، ١٥ +
 العرب : في مواضع كثيرة +
- العنزي (صتم) : ١١٦ +
 عك (قبيلة) : ٤٢ +
 عمرو بن عامر (قبيلة) : ٤١ +
 عنزة (قبيلة) : ٤٠ +
 (غ)
 غزيرة (قبيلة) : ٦١ +
 الغساسنة : ٤٨ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ +
 ١١٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٥٦ - ٥١ +
 غطفان : ٣٩ +
 (ف)
 الفتح : ٣٠ +
 الفرس (فارس فارسي) : ٣١ ، ٨ +
 ٩٠ ، ٨٠ ، ٥٥ - ٥٠ ، ٤٠ +
 ١١٧ ، ١٠٠ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ +
 فزارة (قبيلة) : ٥٣ +
 الفضول (حلف) : ١١٧ ، ٨٣ +
 الفطرة (دين) : ١٠٧ +
 فهم (قبيلة) : ٨١ ، ٣٩ +
 (ق)
 القحطانية (القحطانيون) : ٤٥ ، ٣٩ +
 ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ +
 قريش : ٧٠ ، ٦٤ ، ٦٠ ، ٥٨ ، ٣٩ +
 ٩٣ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ +
 ١١٦ ، ١١٥ ، ١٠٠ +
 قريش الأباطح : ٥٨ ، ٣٥ +
 قريش الظواهر : ٥٨ ، ٣٥ +

- ١١٥ ، ٩٤ ، ٩٠ ، ٤٦
 • ٤٦ : (خلف) المحاش
 • ٧٦ ، ٧ : أهل المدر
 • ١٥ : (قبيلة) مدين
 • ٤٢ : مذحج
 • ٩٦ ، ٤٦ : (قبيلة) مرة بن عوف
 • ٣٣ : المرتدون
 • ٩٠ ، ٥٠ : المزدكية
 • ٥٨ ، ٤٣ ، ٣٩ : مزينة (قبيلة)
 • ١٠٥ ، ٩٠ ، ٣٣ : المستشرقون
 • ١١٣
 • ٥٢ ، ٥١ ، ٣٢ ، ٢٨ : المسلمون
 • ٨٩ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٧٦ ، ٥٣
 • ١١٠ ، ١٠٥ ، ٩٥ ، ٩٢ ، ٩٠
 • ١١٣ ، ١١٢
 • ١١٠ ، ٩٢ : المسيحية
 • ٩٣ : المشرق (أهل المشرق)
 • ١١٣ ، ١١٠ : المشركون
 • ٧٩ : المضربون
 • ٦٤ ، ٦٣ : مطاعم الرياح
 • ٤٦ : المطيون (خلف المطيين)
 • ٦٠ : المعتقون
 • ٩٣ : المغرب (أهل المغرب)
 • ٨٣ ، ١٦ : المكيون
 • ١٠٨ : بنو ملكان
 • ٥١ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤١ : المناذرة
 • ١١٢ : قريظة (قبيلة)
 • ٥٢ ، ٤٢ ، ١٥ : قضاعة (قبيلة)
 • ١١٤
 • ١١٢ : القياصرة
 • ٣٩ ، ١٤ : (قيس عيلان)
 • ٥٥ ، ٥١
 • ١١٢ : قينقاع (قبيلة)
 (ك)
 • ٥٢ : آل كسرى
 • ٣٩ : بنو كعب بن ربيعة
 • ١١٦ ، ٣٠ : الكفر (كفار)
 • ١١٤ ، ٥٢ ، ٤٢ : كلب (قبيلة)
 • ٩٥ : الكلدانية (الكلدانيون)
 • ١١٥ ، ٩٦
 • ١١٥ ، ٦٩ ، ٣٩ : كنانة (قبيلة)
 • ٤٨ ، ٤٠ : كنزة (قبيلة ، مملكة)
 • ١١٧ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٠
 (ل)
 • ١١٤ : اللاهوت
 • ٩١ : لحيان (قبيلة)
 • ٤٩ ، ٤٢ ، ٤١ : لخم (قبيلة)
 • ١١٥
 • ٩٩ : بنو لهب
 (م)
 • ١١٠ ، ٩٠ : المانوية
 • ٢٧ ، ٩ : المجوس (المجوسية)
 • ٥١ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤١ : المناذرة

• 93

المؤلفون (مذهب) : ١١٤ *

المهاجرون : ٣٣ ، ٥٣ .

• ٤٢ : (قوله)

(99)

الموالى (موالى القسلة) : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١

61

الوزير (أهل الوزير) : ٧٦ ع ٧ *

(۵)

الوثنية (وثني) : ٩ ٢٧ ٢٩

110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006 1007 1008 1009 1010 1011 1012 1013 1014 1015 1016 1017 1018 1019 1020 1021 1022 1023 1024 1025 1026 1027 1028 1029 1030 1031 1032 1033 1034 1035 1036 1037 1038 1039 1040 1041 1042 1043 1044 1045 1046 1047 1048 1049 1050 1051 1052 1053 1054 1055 1056 1057 1058 1059 1060 1061 1062 1063 1064 1065 1066 1067 1068 1069 1070 1071 1072 1073 1074 1075 1076 1077 1078 1079 1080 1081 1082 1083 1084 1085 1086 1087 1088 1089 1090 1091 1092 1093 1094 1095 1096 1097 1098 1099 1100 1101 1102 1103 1104 1105 1106

الناسوت (عند النصارى) : ١١٤ •

• 117

نشاطة : ١١٤ *

الوحي : ١١٨ *

النصي (تمثيل) : ٢٧ ، ٩ ، ١ *

النصرانية (النصارى): ٩، ٥٣، ٩٤،

(ی)

* 110 - 11 *

• العاقبة (مذهب) : ٥٣ : ١١٤ •

آل نصير بن ربيعة : ٤١ ، ٥٢ •

يَمَنَات (ملوك) : ٥٤ *

• بنو النضير : ١١٢ •

• القيمة : $\lambda \cdot c \cdot y_9 \cdot c \cdot \varepsilon_9$

النمر بن قاسط : ٤٠ •

الموافق (الثانية) : ٥٢ - ٩٢ *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اليهود (اليهودية) : ٩٠ ٩٩

یتو نوئل : ۶۰ •

-C 1136 1146 1156 1166

(9)

• البحيرة : ٨٨ •

٧ - فهرس المواضع والبلدان

- (أ)
- الأبرق : ٧٢ •
أجأ (جبل طي) : ١٢ ، ١٨ ، ٤٠ •
• ٤١
الأحساء : ١٢ ، ١٧ •
الأحقاف : ١٣ •
الأخدود : ١١٢ •
الأردن : ٥٢ •
إدم (جبل) : ١٥ •
أفريقية : ٨٠ ، ٨٢ •
أفور (جزيرة) : ٤٠ •
الأمصار : ٣١ •
أوطاس : ٣٩ •
أيلة = العقبة •
- (ب)
- البادية : ٧ ، ٨ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٥٦ •
٧٥ ، ٦٤ - ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٧ •
• ١٠٨ ، ٩٧ ، ٨٨
البحرين : ١٧ ، ١٨ ، ٣٨ ، ٤٠ •
• ٥١ ، ٤١
البحر الأحمر : ١١ ، ١٦ ، ٢١ •
• ٤٢
البحر العربي : ١٣ •
البحر الميت : ٤٢ •
بريدة : ٢٠ •
البصرة : ١٧ •
- بطرا : ٩١ •
بلاد العرب = جزيرة العرب •
البيت الحرام = الحرم •
بيشة (واد) : ١٧ ، ٣٩ ، ٤٢ •
البيعة (موضع العبادة) : ٩٤ ، ١١٥ •
- (ت)
- تبالة (واد) : ١٧ •
تثليث : ٤٣ •
تربة : ٤٢ •
تكريت : ٧٨ •
تنوفة : ١٠٩ •
تهامة : ١٦ ، ١٨ ، ٣٨ ، ٣٩ •
تهامة اليمن : ١٦ •
تيماء : ١٢ ، ٤٢ ، ١١٢ ، ١١٣ •
- (ج)
- الجابية : ٥٢ •
الجبل الأخضر : ١٢ •
جدة : ١٦ •
الجزيرة (جزيرة العرب ، بلاد)
شبه جزيرة (: ٧ ، ١١ •
١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ •
٢١ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ •
٣٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٧ •
٦٠ ، ٧٧ ، ٨٤ ، ٩١ - ٩٤ •
١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٧ •

- جلق : ٥٢ •
 جوا : ١٨ •
 الجولان : ٥٢ •
 الحوراء : ١٦ •
 حوران : ١٤ •
 الحوض (حرة) : ١٤ •
 الحيرة : ٤٩ ، ٤١ ، ٤٩ - ٥٣ ، ٥٥ •
 ٨٤ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٥ •
 ١١٥ ، ١١٤ ، ١٠٠ •
 (ح)
 حائل : ١٣ •
 الحاجز : ٣٩ •
 الحبيشة : ٢٢ ، ٦٠ ، ٨١ ، ٨٢ •
 ٩٣ ، ١١٤ •
 الحجاز : ١١ ، ١٥ - ١٩ ، ٢١ •
 ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٥٧ •
 خفية : ٥٠ •
 الخليج العربي : ١١ ، ١٤ •
 الخورنق : ٤٩ ، ٨٠ •
 خير : ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ، ٧٧ ، ٨٤ •
 ١١٢ ، ١١٣ •
 خيف سلام : ٧٨ •
 (د)
 الدارات : ١٢ •
 دارة الآرام : ٢٠ •
 دارة جلجل : ٢٠ •
 دبا : ٩٣ ، ٨٤ •
 دمشق : ٥٢ •
 دمشق : ٢٠ •
 الدقاء : ١٣ ، ١٨ •
 دومة الجندل : ٧ ، ٤١ ، ٤٢ •
 ٨٤ ، ٥٤ ، ٤٨ •
 الدير : ٩٤ •
 حرة النار : ١٤ •
 الحرم (البيت الحرام) : ٣٥ ، ٥٨ •
 ٨٣ ، ١٠٧ •
 الحسا : ٢١ •
 حسي : ١٥ •
 حضرموت : ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٨٤ •
 حضور الشيخ (جل) : ٢٠ •
 حلب : ٤٢ •
 حماة : ٤٢ •
 حنين : ٣٩ •

(د)

ذو المجاز : ٨٤ •

(ر)

الرافدان (ارض الرافدين) : ١١ •

الربع الخالي : ١٢ • ١٣ • ٢١ •

رضوى (جبل) : ٣٥ • ٣٩ • ٥٨ •

الرقط (دور معاوية) : ٨٠ •

(ز)

زبيد : ١٧ • ٤٢ •

(س)

الساقلة : ١٦ •

سبأ : ٥٤ • ٩١ • ١١٦ •

سد مأرب : ٨٠ •

سدوس : ١٧ • ١٨ •

السديس (قصر) : ٤٩ • ٥٠ • ٨٠ •

السراة (جبال) : ١١ • ١٦ • ٣٩ •

+ ٤١

السرхан (واد) : ١٢ • ٢١ •

سلمى (جبل) : ١٢ • ١٨ • ٤٠ •

+ ٤١

السيابة (بادية) : ١٢ • ١٨ • ٤٢ •

السمهرية : ٨٠ •

سُمَيْر : ٤١ •

السند : ٩٣ •

سنداد : ٤٠ •

السوارقية (قرية) : ٣٦ • ٧٨ •

سورية : ١١ •

سياء : ١٥ •

(ش)

الشم : ٧ • ١٢ • ١٨ • ٢٠ • ٣٨ •

٤٠ • ٤١ • ٤٢ • ٤٨ • ٥١ •

٥٢ • ٥٣ • ٥٦ • ٥٧ • ٨٠ •

٨٣ • ٩٢ • ٩٤ • ١٠٠ • ١١٤ •

الشجر : ١٣ • ١٦ • ٤٢ • ٨٤ •

شمر (جبل) : ١٢ • ١٩ •

شوران (حرة) : ١٤ •

(ص)

صحار : ٨٤ • ٩٣ •

الصفراء (قرية) : ٣٥ • ٥٨ • ٧٧ •

صنعاء : ١٧ • ٢٠ • ٤٢ • ٨٤ •

الصوامع : ٩٤ •

الصين : ٨٢ • ٩٢ • ٩٣ •

(ط)

الطائف : ١٥ • ٢٠ • ٢١ • ٢٢ •

٣٩ • ٥٨ • ٧٧ • ٨٢ •

(ظ)

ظفار : ١٦ • ١٧ • ٤٢ •

(ع)

عالج (رملة) : ١٨ •

عدن : ١٧ • ٤٢ • ٨٢ • ٨٤ •

العراق : ٧ • ١٢ • ١٨ • ٣٨ •

٤٠ ، ٤١ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، فِد : ٤١ •

٥٦ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨١ •

٨٢ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٤ ، ١١٥ •

(ق)

قدس وآرة (جبل) : ٣٩ •

القدسِين (جبل) : ٥٨ •

قرح (مدينة) : ١٥ •

القسطنطينية : ٥٣ •

القصيم : ١٨ •

قطر : ١٤ ، ١٧ ، ٤٠ •

القطيف : ١٧ •

القلزم (بحر) : ١٦ •

القهر : ٨٧ •

(ك)

كاظمة : ١٧ •

الكعبة : ٨٠ ، ٨٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ •

١١٥ •

الكوفة : ٤٩ •

الكويت : ١٧ •

(ل)

اللوبة (اللاية) : ١٤ •

اللى (حرّة) : ١٤ •

(م)

مجنة : ٨٤ •

المحيط الهندي : ١٨ •

مدائن صالح : ١٥ ، ١٦ •

مدين : ١١ ، ١٥ •

العروض : ١٧ ، ٣٨ •

غزور (جبل) : ٣٥ ، ٥٨ •

عسير : ١٧ ، ١٩ ، ٢١ •

العفير : ١٧ •

العقبة (أيلة) : ١٤ ، ٤٢ •

عكاظ : ٨٤ •

العلاء : ١٥ •

عمّان : ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٤٠ •

٤١ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٨٤ •

عين أباغ : ٤٠ ، ٥٣ •

(غ)

غزة : ٩٣ •

غزوان (جبل) : ١٦ ، ٢٠ •

الغضا (أهل الغضا) : ١٨ •

الغور (غور تهامة) : ١٦ ، ٣٩ •

الغريان (قصران) : ٥٠ •

(ف)

فارس (بلاد الفرس) : ٨١ ، ٨٢ •

٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٠ •

فدك : ١٥ ، ٢١ ، ١١٣ •

الفرات : ٤٠ ، ٤٩ •

الفرع : ٥٨ ، ٧٨ •

الفلج : ٣٩ •

فلسطين : ١١ ، ٤٢ ، ١١٧ •

المدينة (يثرب) : ١٤ ، ١٥ ، ٢١ ، النفود (صحراء) : ١٢ ، ١٨ .

(9)

• ۸۴ : ۱۷ • ۴ • ۴ • ۸۴ •

* الهند : ٨٢ ، ٩٢ ، ٩٣

(9)

وادی الزمّة : ۱۷ و ۲۰ •

وادی القرى : ۱۵، ۲۱، ۴۲، ۷۷، ۸۸

• 113 < 114

واقف (حرة) : ١٤ •

الوجه : ١٦ •

ورقان (جیل) : ۵۸ •

الوشوم : ١٨ *

(٥)

پیرین (ومل) : * *

* شرب = المدينة

الساعة: ١٧: ١٨: ٢١: ٢٤: ٢٥: ٢٥

• AE 602

المسئولين : ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ - ٢٤

-C OY C OZ C EY C EI C MA

$$cAP \leq q_1 \leq AP - \lambda + cV_0$$

6 112 6 117 6 100 6 98

* 117

• ۷۸۶۵۸۶۴۲۶۳۵۶۱۶ : ینبع

6 24 6 21 6 17 6 13 6 12

‘ Y7 ‘ Y0 ‘ Y1 ‘ 0A ‘ 0F

6 117 6 A 6 VA 6 VΛ 6 VY

• 1117

متر المظهران : ٤١ •

المشعر : ٨٤ ، ٩٣ •

٩١ :

$\epsilon_7, \epsilon_9, \epsilon_{17}, \epsilon_{10}, \epsilon_8 : \mathbb{K}$

6 Y0 6 7 + 6 0A 6 21 6 7A

6 1+Y 6 1+* 6 Aξ-A* 6 V7

• 11A < 11Y < 11E < 1+A

• مفتوحة (قرية) : ١٧، ١٨.

• 41617: 54 •

المواضيع : ٩٤ •

(5)

• ۵۸ : (جیل)

6 27 6 22 6 20-10 6 12: 100

$$c \in A \iff c \in \mathcal{A} \iff c \in \mathcal{A} \iff c \in \mathcal{A}$$

• 6 A2 6 00 6 02

• نجد الساقلة : ١٨ •

• تعدد العالقة : ١٨

نجران : ١٧ ، ٤٢ ، ٨٤ ، ١١٢

• 115

٨ - فهرس الموضوعات

الصفحة

١٠- ٥

مقدمة

٢٣-١١

مهيد : بلاد العرب

٣٧-٢٤

الفصل الاول : عرب الجاهلية

الجاهلية - مفهومها - الجاهلية كما وردت في القرآن -
في الحديث - في الشعر - معنى الجاهلية - زمنها -
العرب والاعراب - تحديد المفهوم - الاعراب في القرآن -
مع رسول الله - نظرتهم الى الدين الاسلامي - نظرة
المسلمين الى الاعراب - لكل قبيلة حاضرة وبادية -
اختلاط البدو بالخضر *

٥٦-٣٨

الفصل الثاني : الحياة السياسية

تحديد العصر - مواطن القبائل في الجزيرة - القبائل
العبدانية ومنازلها - سكان الحجاز - نجد - اليمامة -
البحرين - العراق - القبائل القحطانية - هجرتهم -
سكان الشام - الحجاز - نجد - العراق - القبائل المقيمة
في اليمن - النظام القبلي - القبيلة وحدة سياسية
 واجتماعية - تكوين القبيلة - الرئيس وصفاته - أفراد
القبيلة والتزاماتهم - العضوية - صلات القبائل - الحلف
والجوار - أسباب الحلف - صلات الحرب - أبنام
العرب - الامارات العربية - المناذرة وملوكهم - الغساسنة
وملوكهم - مملكة كندة وامرائها *

الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية

البدو والحضر - الصلة بين الاثنين - طبقات المجتمع -
 أبناء القبيلة - الموالي - العيد - العصبية القبلية - المثل
 العربية - الكرم - الشجاعة - النجدة - تمجيد القوة -
 الثأر - حلفاء الجاهلية - آفات اجتماعية - الخمر -
 الميسر - النساء - المرأة ومكانتها - أعمالها - مكانتها عند
 الشعراء - الاسلام والمرأة •
 معاش العرب - تفاوتهم في الرزق - موارد الحاضرة -
 الزراعة - الصناعة - التجارة - قريش والتجارة -
 ضخامة قوافلها - بضائعها - الاسواق - انتشارها في
 الجزيرة - موارد البادية - الابل - الخيل - الصيد -
 الغزو - فقر البادية - حنين العرب الى البادية •

الفصل الرابع : الحياة العقلية

صورة خاطئة عن العصر - سبب ذلك - التعصب الديني -
 الشعوبية - حضارة العرب الجبوتية - الجاهلية الاولى -
 صلتهم بالامن المجاورة - وسائل الاتصال - الاسواق -
 الاسفار - الوفادات - الجاليات الاجنبية •
 علوم العرب - النجوم - الانواء - الطب والسيطرة - الفراسة
 والقيافة - الانساب - التاريخ والافكار - الحكم
 والامثال - طبيعة الحكم العربية •

الفصل الخامس : الحياة الدينية

مفهوم الشرك - ايمان الجاهلين بالله - الاضنام - دخولها مكة -

ضعف الايمان بالدين عند الاعراب - اديان الجزيرة -
 الحثيفة - اليهودية - مواطن اليهود في الجزيرة -
 مدى أثرهم في العرب - النصرانية - القبائل النصرانية -
 اديان اخرى - فترة الارهاص والتطلع الى الدين الجديد .

١٢٧-١١٩	فهرس المصادر والمراجع
١٥٨-١٢٩	الفهارس : -
١٣٣-١٣٠	١ - فهرس الآيات
١٣٤	٢ - فهرس الاحاديث
١٣٥	٣ - فهرس الامثال
١٣٨-١٣٦	٤ - فهرس القوافي
١٤٤-١٣٩	٥ - فهرس الاعلام
١٥٠-١٤٥	٦ - فهرس القبائل والامم والاديان ونحوها
١٥٥-١٥١	٧ - فهرس المواضع والبلدان
١٥٨-١٥٦	٨ - فهرس الموضوعات

من كتب المؤلف المطبوعة

- ١ - لبید بن ربیعۃ العامری نقد
مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٢م
- ٢ - الاسلام والشعر نقد
مكتبة النهضة - بغداد ١٩٦٤م
- ٣ - شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه
مكتبة النهضة - بغداد ١٩٦٤م
- ٤ - ديوان العباس بن مرداس السلمي
جمع وتحقيق وتقديم وزارة الثقافة والاعلام - سلسلة التراث
بغداد ١٩٦٨م
- ٥ - شعر النعمان بن بشير الأنصاري
جمع وتحقيق ودراسة
مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٨م
- ٦ - الجاهلية
مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٨م

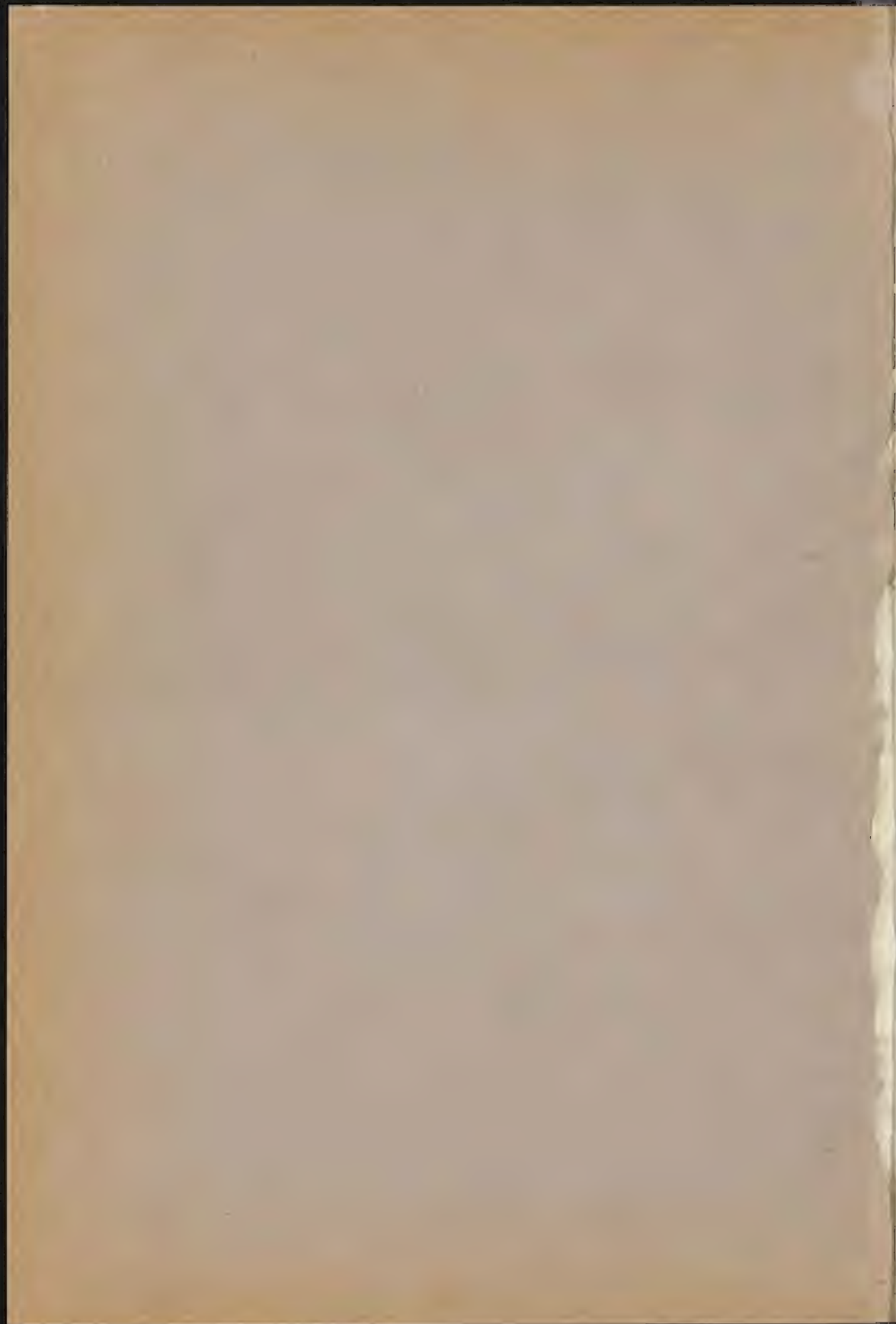
الخطأ والصواب

على الرغم من العناية المطبعية فقد سقطت بعض الأخطاء التي لا تخفى على القارئ النبیه وأهملها :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٤	٥	والمعادن الى المصهورة	والمعادن المصهورة
١٩	١٠	إذا جعل	إذ جعل
٧٨	١٥	مراعى آخر	مراعى آخر
٧٩	١٧	المضربين	المضربين

نطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٨/١٠٠٠/٣٩



AL-JAHILIAH

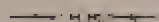
„THE PRE-ISLAMIC AGE,,

By:

DR. YAHYA W. AL-JUBURY

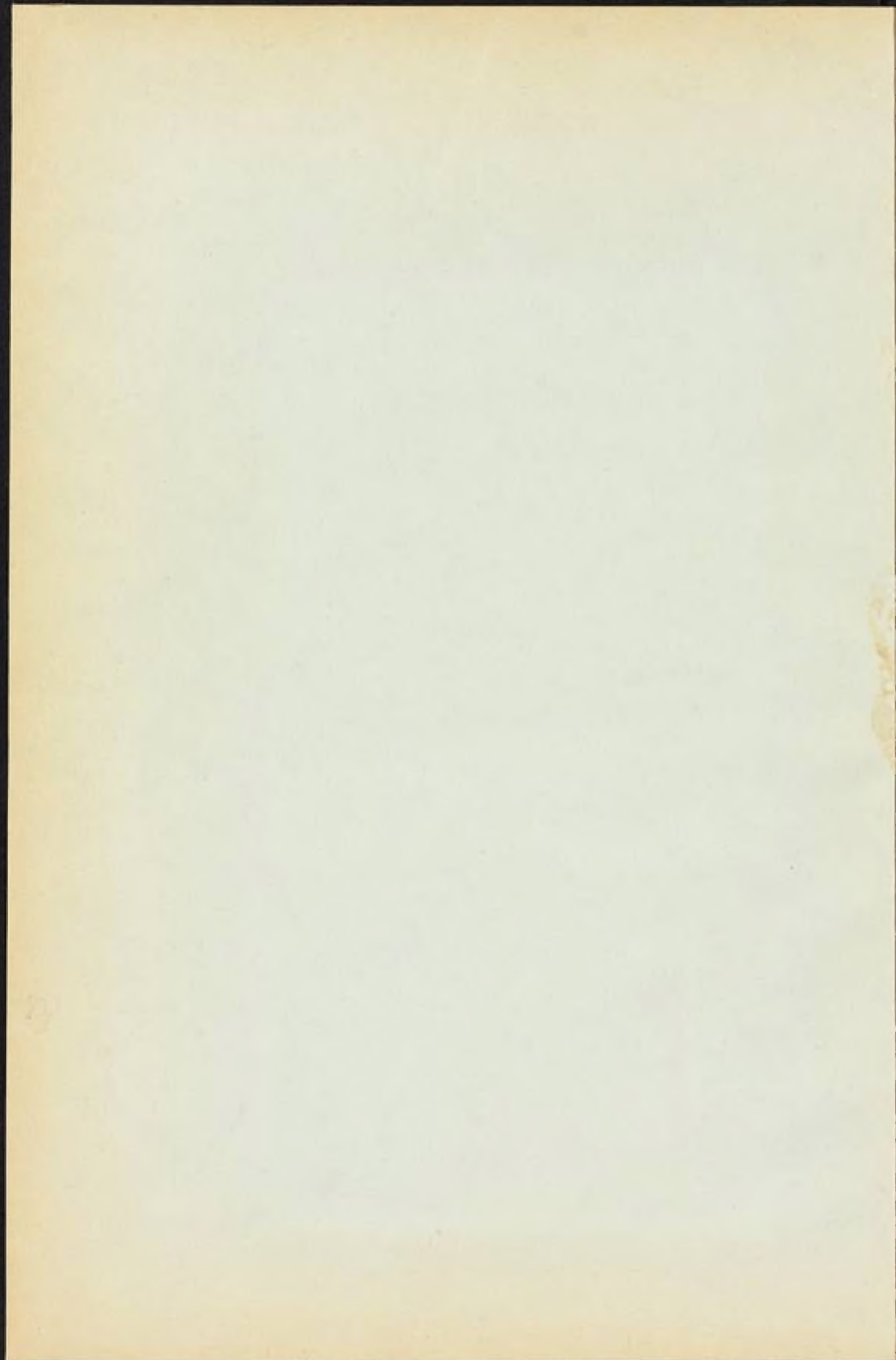
(B. A., M. A., PH. D.)

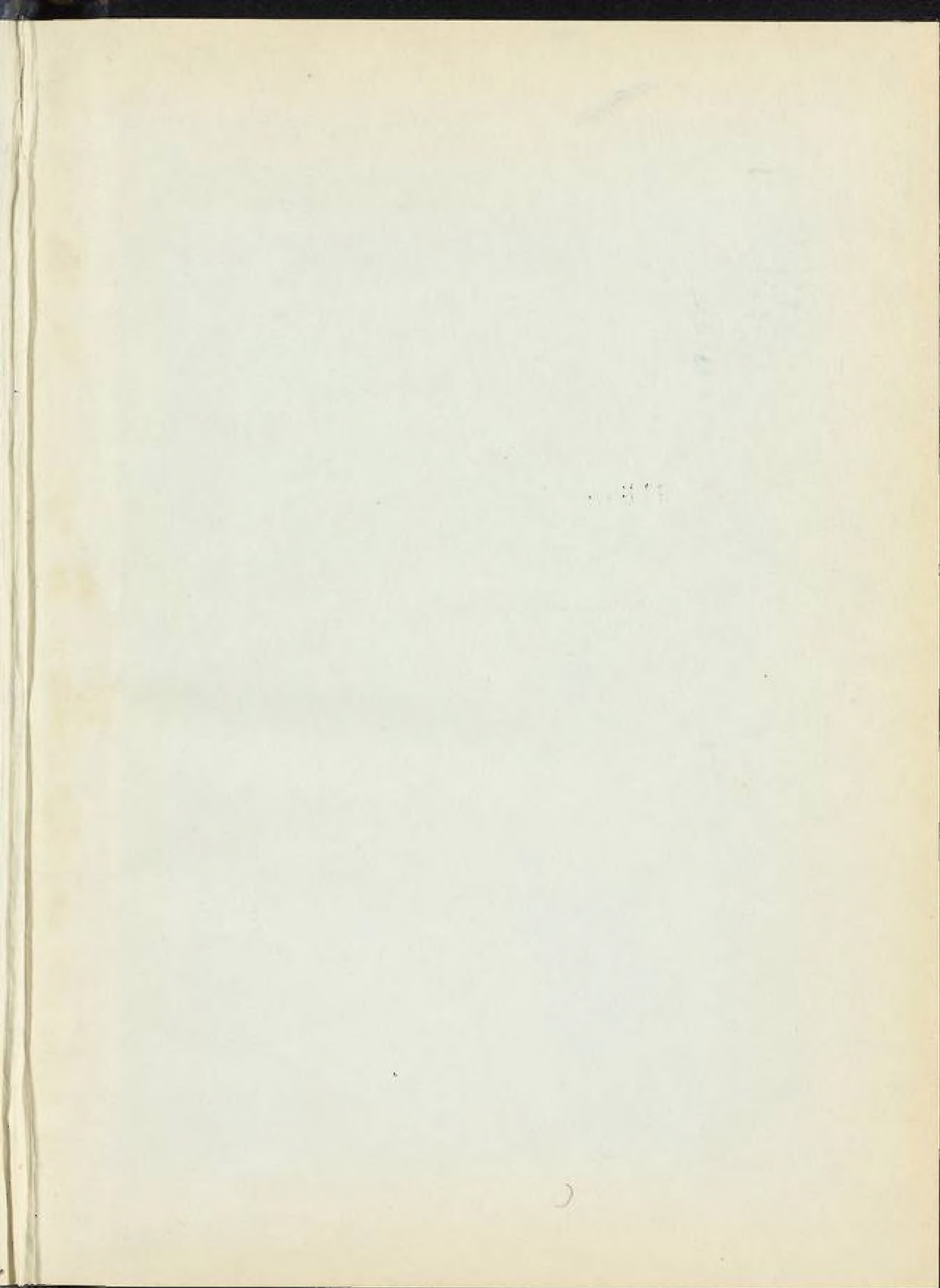
Faculty of Arts University Baghdad



AL-MA'ARIF PRESS - BAGHDAD

1968





DS
215
•J82

DS 215
•J82

02959267

JUL 22 1971

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU52905632

DS215 .J82

al-Jahiliyah,